القوافي

مجلة شهرية تصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة
السنة السابعة - العدد (65) - يناير 2025

تُعنى بالشعر والأدب العربي

مُدن الشعر..
مَلجأ الشعراء ومَلاذ القصائد

تحدّي الشعراء..
دافع الامتحان وتأكيد العبقرية

الشعر الجاهلي..
بين الرواية والتدوين

المهرجانات الشّعرية..
مساحات إبداعيّة خالدة

القوافي

إصدارات مجلة القوافي

ص.ب: 5119 الشــارقــة - الإمــارات العــربيــة المتحــدة
الهاتف: 5683399 6 971+ البرّاق: 5683700 6 971+
البريد الإلكتروني: qawafi@sdc.gov.ae
الموقع الإلكتروني: www.sdc.gov.ae
poetryhouseshj

مدُن
وشُعراء وقصائد

ظل الشعر العربي حاضرًا في مجتمعاتنا، وفي أدقّ تفاصيلنا، نحن العرب، إذ كان هو العنوان الأعلى في صفحات حياتنا الثقافية والاجتماعية بشكل عام. وقد عرفنا عبر مختلف العصور عددًا كبيرًا من الشعراء الذين تنقّلوا بين المدن والعواصم العربية، يكتبون أجمل القصائد التي تعكس واقعنا، وتتناقل أبرز الأحداث التي عايشناها في محطات كثيرة ومتنوّعة.

هناك مدن احتضنت الحراك الشعري، وأصبحت فيما بعد، عواصم ثقافية تضمّ أهم الأنشطة والأحداث الشعرية الكبرى، كالأسواق والمهرجانات التي أسهمت في تنشيط الحراك الشعري وكتبت سيرة ثقافية مضيئة، لا نزال حتى هذه اللحظة، نعود إليها لنقف على مسافة قريبة من تاريخنا الشعري والأدبي.

وفي هذا العدد من «القوافي»، نسافر مع القارئ إلى مدن الشعر التي شكّلت ملجأً وملاذًا للشعراء، وكانت حواضنَ ومراكزَ ثقافيةً مهمة، في أكثر من زمان واتجاه. وصولًا إلى إمارة الشارقة التي أصبحت مدينة الشعر والشعراء في عصرنا الحالي.

وفي «آفاق» نواصل البحث في دور اللقاءات والمهرجانات الشعرية وأهميتها، التي أسهمت في صناعة المشهد الثقافي، وكرّست أسماء وأعمالًا شعرية مهمة. كما نجحت في الحفاظ على علاقة الجمهور بالقصيدة التي كانت تقترب منه أكثر وأكثر، عندما تقف على المنابر ويصدح بحروفها ومعانيها الشعراء أمام المئات والآلاف من المتلقّين.

كما تستطلع القوافي «آراء» عدد من الشعراء في موضوع حفلات توقيع الدواوين، التي يراها الشعراء مناسبة لإعلان أعمالهم الجديدة، وينتظرها القارئ والناشر معًا، بعدما أصبحت اتصالًا مباشرًا بين أطراف العملية الإبداعية، ولها عائد ثقافي ومعنوي، وتصبّ في مصلحة الجميع.

ونلتقي في هذا العدد شاعرين، الأول السّوري حسين العبدالله، صاحب تجربة شعرية ثرية ومؤثرة، يؤكد في حواره أن الشعر يُحفظ في القلوب لا على الورق.

أما الثاني، فمع الشاعر العراقي سعد محمد، الذي يشير في حواره إلى أن المسابقات هي الفرص التي تعدو بالشاعر نحو المجد والانتشار.

ونتوقف كذلك عند واحدة من أبرز مدن الشعر في عالمنا العربي، وهي صَحَم العُمانية، التي تعدّ اليوم واحة الشعر والبلاغة، إذ تزخر بإرثٍ إبداعي وفني وحضاري، وتحتضن الكثير من المواقع التاريخية والأثرية، انتمى إليها أدباء وأعلام وقادة.

أما قبل

ونتطرق عبر مقالات متنوعة إلى قضايا وموضوعات شعرية مختلفة، منها ما يبحث في مصادر الشعر الجاهلي وأبرز ملامحه. وآخر يضيء على سيرة الشاعر منجك باشا اليوسفيّ الذي يعدّ شاعر الفخر والحنين، وقد كان من أعظم شعراء العصر العثماني.

فضلًا عن ذلك نقرأ في هذا العدد دلالات المساجد في الشعر العربي، التي كانت ملهمة بمعمارها وزخارفها البديعة، وقد تغنّى بها الشعراء وأفردوا لها الكثير من القصائد.

ونضع أمام القارئ باقة من الأعمال الشعرية المبدعة، وقراءات بمجموعة من الدواوين، وكذلك القصائد التي سبق نشرها في «القوافي».

مدن القصيدة 34

صَحَم العُمانية .. واحةُ الشِّعر والبَلاغة

القوافي

مجلة شهرية تُعنى
بالشعر والأدب العربي
تصدر عن دائرة الثقافة
العدد (65) - يناير 2025

رئيس دائرة الثقافة
عبدالله بن محمد العويس

مدير إدارة الشؤون الثقافية
محمد إبراهيم القصير

مدير التحرير
محمد عبدالله البريكي

هيئة التحرير
عبدالرزاق الربيعي
د. حنين عمر
عبدالعزيز الهمامي

المتابعة والتنسيق
همسة يونس

التصميم والإخراج
إيمان محمد المعدّي

التدقيق اللغوي
فواز الشعّار

التصوير
إبراهيم خليل

التوزيع والإعلانات
خالد صديق

عناوين المجلة

الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة
دائــــرة الثقــــافة
ص.ب: 5119، الشارقـة
هاتف: +97165683399
برّاق: +97165683700
Email: qawafi@sdc.gov.ae
poetryhouse@sdc.gov.ae
WWW.sdc.gov.ae

الأسعار:

- الإمارات: 5 دراهم
- البحرين: 550 فلس
- سلطنة عمان: 0.550 ريال
- الأردن: ديناران
- قطر: 5 ريالات
- المغرب: 15 درهما
- السعودية: 10 ريالات
- الكويت: 0.550 دينار
- مصر: 5 جنيهات
- السودان: 550 جنيه

وكلاء التوزيع:

- الإمارات: شركة توزيع، الرقم المجاني: 8002220
- السعودية: شركة تمام العالمية المحدودة - الرياض - هاتف: +966576063677
- البحرين: مؤسسة الأيام للنشر، المنامة - هاتف: +97527617752
- الكويت: مجموعة النظائر الإعلامية، الكويت، هاتف: +96525252520
- سلطنة عُمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط - هاتف: +96825200895
- مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع: القاهرة، هاتف: +20252705243
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية: عمّان - هاتف: +96525528855
- تونس: الشركة التونسية للصحافة - تونس- هاتف: +20252705243
- المغرب: سوشبرس للتوزيع - الدار البيضاء - هاتف: +215225289121
- قطر: شركة توصيل - الدوحة، هاتف: +97525257810
- دار الراوي للنشر والتوزيع - الخرطوم - السودان هاتف: +252121306081 - +252123987321

إطلالة	مُدن الشِّعر.. مَلجأ الشّعراء ومَلاذ القصائد	8
آفـاق	المِهْرجانات الشّعرية.. مساحات إبداعيّة خالدة	14
أول السطر	السوريّ حسين العبدالله: الشّعر يُحفَظ في القلوب لا على الورق	24
مقـال	الشعر الجاهلي.. بين الرواية والتدوين	52
عصـور	مَنْجَك باشا اليوسُفي.. شاعر الفخر والحنين والألم	58
دلالات	المساجد في الشعر العربي.. دلالاتٌ تنبضُ بالإيمان	68
تأويلات	بشّار محمد يدعو إلى التأمّل في «ما روته الريح»	74
استراحة الكتب	عبد النبي عبَادي يبثّ رسائل الأمل والتأمّل «شيئًا فشيئًا»	86
نوافـذ	تحدّي الشعراء.. دافع الامتحان وتأكيد العبقرية	92

- المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد و الأسماء في المجلة يخضع لاعتبارات فنية. - لا تقبل المواد المنشورة أو المقدمة لدوريات أخرى.
- أصول المواد المرسلة للمجلة لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر.

شعراء العدد:

أحمد عبد القادر
حسن عبده صميلي
شيخنا عمر
أحمد عبد الغني
قصي النّبهاني
هود الأماني
موسى إبراهيمي
مختار سيّد صالح
شقراء المدخلية
الأمين الطالب محمد
نجوى عبيدات
محمد السويدي
شهاب غانم
حسين علي رهيف
خولة سيك سالم
لطيفة حسّاني
سيد عبد الرازق
صقر عليشي
أحمد علي الفاخري
زيد صالح
علي مصطفى لون

أَرَّقَ العَينَ أَنَّ قُرَّةَ عَيني

البحتري

العصر العباسي

أَرَّقَ العَيْنَ أنَّ قُرَّةَ عَيْني
دَخَلَت بَينَهُ اللّيالي وبَيْني

إن يُقَدِّر لَنا الزَمانُ التقاءً
فَهوَ حُكْمي عَلى الزَّمانِ ودَيْني

ما لِشَيءٍ بَشاشَةٌ بَعْدَ شَيءٍ
كَتَلاقٍ مُواشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ

صافَحَت في وَداعِها فَأَرَتْنا
ذَهَبًا مِن خِضابِها في لُجَيْنِ

أَصدَقُ الناسِ مَن يُشيدُ بِقَولِ
إنَّ سَيفَ الإمامِ ذو السَّيفَيْنِ

تَقِفُ العَيْنُ عِندَ أَنوَرِ وَجهٍ
يَتَجَلّى لَنا وأَندى يَدَيْنِ

قادَ آباؤُهُ الجِيادَ مُلوكًا
قَبلَ قَودِ الجِيادِ مِن ذي رُعَيْنِ

شكّلت حواضنَ ومراكزَ ثقافيةً مهمّةً

مُدن الشِّعْر..

مَلجأ الشّعراء ومَلاذ القصائد

د. حنين عمر

ارتبط الشعر في كل الحضارات بالتاريخ، فقد كان، وما يزال، وسيلة الإنسان المُثلى للتعبير عن ذاته وتحولات الحياة حوله؛ وإن كان هذا الارتباط التاريخي والاجتماعي، بكل مدلولاته ومحمولاته، ظاهرة طبيعية ومعتادة في الدراسات الكثيرة التي تناولت سياقاته، فإن ظاهرة أخرى تبدو أكثرغرابة وندرة، وتتعلّق بالجغرافيا لا بالتاريخ، تحتاج إلى الوقوف عندها وتحليلها.

إنّها ظاهرة ارتباط الشعر بمدن معيّنة دون غيرها، تمركز فيها طوال عصور الوجود البشري، وعبر مختلف الحضارات المتعاقبة، إذ وجد فيها حواضن ثقافيةً وإبداعيةً، اختارها وسكنها وتطور ضمنها بشكل لافت، فتحولت ملجأ للشعراء وملاذًا للقصائد، وأسهمت مباشرةً في تكوين أهم نتاجاته الإبداعية.

يمكن أن نطلق على «أوروك» العراقية وصف «مدينة شعريّة»

وقبل خوض الرحلة بين هذه المدن الشعرية، لا بدّ من الإشارة إلى ماهية الشعر الأولى، فلم يكن إطلاقًا مجرّد إبداع أدبي ينتمي إلى فنون القول، بل كان أول الفنون التي ارتبطت بكل الحضارات القديمة، وكان له قيمة كبيرة تصل إلى التبجيل، كونه جزءًا من شعائر المعتقدات؛ وأقدم الوثائق التاريخية تثبت وجود الشعر فنًّا أساسيًا تطور مع الفنون الأدائية، وتشكّل قبل كلّ الفنون النثرية الأخرى.

الشّعراء استخدموا دلالات «بابل» في كلّ العصور

البوابات الأولى للشعر الإنساني

عند فتح أولى صفحات هذه الوثائق، فإن أول مدينة يمكن أن نطلق عليها مصطلح «مدينة شعريّة» بمفهومه الثقافي، هي أوروك (الورقاء حاليًّا بمحافظة المثنّى العراقية)، التي شكّلت مركزًا مهمًا في الحضارة السومرية، وقد أنشئت قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف سنة، وتقع حاليًّا على بعد نحو مئتي كيلومتر جنوبي العاصمة بغداد.

وكانت هذه المدينة مركزًا ثقافيًّا مهمًّا، إذ ازدهرت فيها العلوم والفنون واخترعت الكتابة، وهناك فرضية تقول إن مصطلح «الشّعر» الذي نستخدمه اليوم أصله من اللغة الأكادية والبابلية، وهو من كلمة «شيرو» التي تعني الغناء، و منها «شير» بالسومرية، وهو ما شكل لاحقًا المصطلح الحديث - بالإيقاع الصوتي نفسه- في لغات كثيرة، كالآرامية والعبرية والتركية والأذربيجانية والأوردية والفارسية والكورية، والعربية طبعًا، كونها من أسرة اللغات «الساميّة». بل حتى في اللغات اللاتينية، نجد أن كلمة «الشعر»، يقابلها مثلًا مصطلح من اليونانية القديمة يعني «الغناء»، في حين يسّمى الشاعر «المغنّي»؛ وهذا يؤكد علاقة الشعر بالإيقاع والموسيقا منذ نشوئه، مثلما ارتبط بالمسرح وفنون الأداء. كما يؤكد هذا تعالقه مع الميثولوجيا، ومن ثمّ دوره نصًّا معرفيًا له أبعاد تاريخية واجتماعية وثقافية، وهذا الدّور العلمي الكبير انعكس لاحقًا بوضوح في المدونة الشّعرية العربية.

وقد اكتشفت في أوروك كثير من الآثار الشعرية في شكل قصائد حفظت على الألواح المسمارية، كما ارتبطت بـ«ملحمة جلجامش» التي يرى باحثون أنها كتبت على بحر المتدارك (الخَبَب)، وهي مكتوبة فعليًا في شكل تتابع عمودي للجمل المقطعة صوتيًّا بقافية واضحة في آخرها.

وغير بعيد جغرافيًا من أوروك في العراق، تظهر مدينة أور (محافظة ذي قار حاليًا) التي وُجد فيها عدد كبير من النصوص الشعرية، وفيها عاشت إنهيدوانا أول شاعرة في التاريخ، وأول مؤلفة معروفة الاسم أيضًا.

كما لا بدّ أن نورد بابل، ضمن مدن الشعر، التي نشأت فيها علوم الموسيقا وازدهر فيها الشعر القصصي وشعر التراتيل، وبخاصة في ظل حكم الملك حمورابي.

ومن الملاحظ أن الشعراء استخدموا دلالات «بابل» في كل العصور، من دون استثناء، للإشارة إلى تفرّدها التاريخي؛ فها هو أبو الطيّب، يستخدمها ليشير إلى فرادته الأدبيّة، فيقول:

مـا نـالَ أَهْـلُ الجاهليَّـةِ كُلُّهُـم
شِـعْري ولا سَـمِعَت بِسِـحْرِيَ بابِلُ
وإذا أَتَتْـكَ مَذَمَّتـي مِـنْ ناقِـص
فَهِـيَ الشَّـهادَةُ لـي بِأَنِّـي كامِـلُ

ويمكن القول إنّ بلاد الرافدين –العراق حاليًّا- كانت ملهمة أساسية للشعراء عبر الزمان، وكانت منطقة غنية بحواضن الشعر ليس في العصر القديم وحسب، إنّما في عصور لاحقة. لكن ما يثير التعجب أن مدن الشعر

في الغرب ظهرت مدن شكّلت قديمًا مراكز شعرية

الجديدة فيه، أقيمت في محيط المدن القديمة، وكأنّ في ذلك إشارة ما إلى تمركز شعري في تلك الأمكنة.

أما الحضارة المصرية القديمة، فقد اهتمت بالكتابة والأدب، وكان للشعر قيمة عالية، وكان يكتب وفق أوزان صارمة، تحدّد ماهيّته، وفق مواضيعه التي راوحت بين الأناشيد الدينية والمدائح الملكية، وقصائد الغزل والقصص.

وفي العالم الغربي، ظهرت مدن أخرى شكّلت قديمًا مراكز شعريّة، أهمّها أثينا اليونانية، وروما الإيطالية، واللتان أنتجتا لقرونٍ، كمًّا كبيرًا من النصوص الشعريّة الخالدة في ذاكرة البشرية واللغات اللاتينية.

مراكز الشّعر العربي في العصور القديمة:

أما في شبه الجزيرة العربية، التي تعدّ منشأ الشعر العربي، فيمكن أن نرى بوضوح تام، أن منطقة الخليج العربي، كانت مركزًا شعريًّا أساسيًّا منذ العصور القديمة؛ وكانت نجد على سبيل المثال، مدينة الشعراء المعروفين، مثل امرئ القيس، وأبي ليلى المهلهل، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والخنساء، وغيرهم، وهذا الزخم والتمركز، صنعا إحدى أهم الحركات الثقافية الأولى للشعر العربي، وقد تغنّى الشعراء بنجد في قصائدهم، واستخدموا دلالاتها، كقول الصِّمة القُشيري:

تَمَتَّـعْ مِـنْ شَـميمِ عَـرارِ نَجْـدٍ
فمـا بَعْـدَ العَشِـيَّة مِـنْ عَـرارِ
أَلَا يـا حَبَّـذا نَفَحـاتُ نَجْـدٍ
وريّـا رَوْضِـهِ غِـبَّ القِطـارِ
وأَهْلُـكَ إذْ يَحِـلُّ الحَـيُّ نَجْـدًا
وأنْـت علـى زَمانِـكَ غَيْـرُ زارِ

ومن حواضن الشّعر في شبه الجزيرة العربيةَ، مكّة المكرمة التي ازدهر فيها الشعر وكثر الشعراء. وقد أسهمت الأسواق الشعرية في ذلك؛ ففي مكّة ومحيطها، كانت تقام سوق ذي المجاز، وسوق مجنّة، وسوق عكاظ، وفيها ترفع المُعلّقات ويتبارى الشّعراء. ومع دخول الإسلام ازدادت قيمتها وأهميتها الحضارية، فتحولت حاضنةً ثقافيةً ودينيةً في آن واحد. ومن شعرائها المعروفين: عمر بن أبي ربيعة، وعمرو بن تميم، وغيرهما، وعنها يقول ابن معصوم:

فـارَقْتُ مَكّـةَ والأقْـدارُ تُقْحِمُنـي
ولـي فـؤادٌ بهـا ثـاوٍ مَـدى الزَّمَنِ

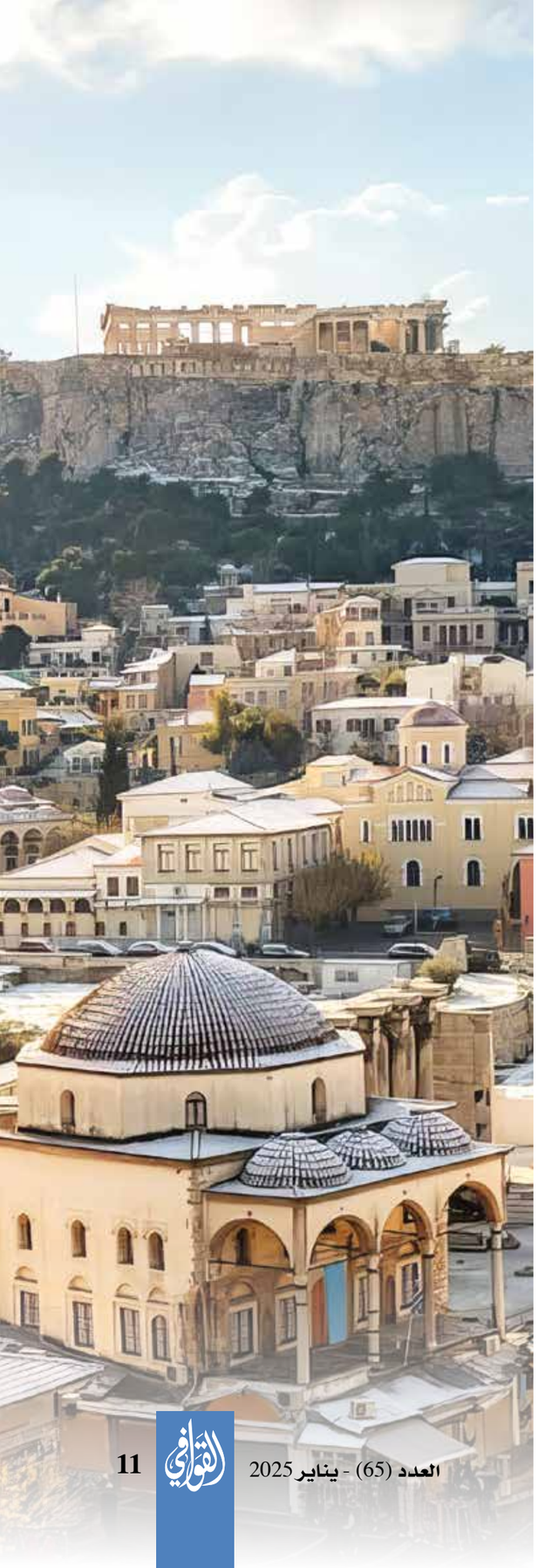

منطقة الخليج العربي كانت مركزًا شعريًا أساسيًا

فارَقْتُها لا رِضىً منّـي وقَدْ شَهِدَتْ
بِـذاكَ أَمْلاكُ ذاك الحجْرِ والرُّكُنِ
فارَقْتُهـا وبِـودّي إذْ فَرَقْـتُ بِهـا
لَـوْ كانَ قَدْ فارَقَتْ روحـي بِها بَدَني

كما كانت المدينة المنوّرة – وتسمى يثْرِب وطِيبة -، بعد الإسلام بشكل خاص، أحد المراكز الشعريّة والعلمية المهمة، وكانت فيها حركة شعريّة مزدهرة؛ يقول عنها حسّان بن ثابت:

بِطيبَـةَ رَسْـمٌ لِلرّسـولِ ومَعْهَـدُ
مُنيـرٌ وقَـدْ تَعْفـو الرُّسـومُ وتَهْمَدُ
ولا تَنْمَحـي الآيـاتُ مِـنْ دارِ حُرْمَةٍ
بِها مِنْبَـرُ الهادي الّـذي كانَ يَصْعَدُ

ومع دخول العصور الإسلامية وازدهار حضارتها، برزت دمشقُ مركزًا ثقافيًا شديد الأهمية، وكانت إحدى حواضن الشعر والشعراء الذين قصدوها من كل مكان، فتحولت منارةً أساسيةً للعلوم والآداب والفنون؛ يقول البُحتري:

أَمَـا دِمَشْـقُ فَقَدْ أَبْـدَتْ مَحاسِـنَها
وقَـدْ وَفَـى لَـكَ مُطْريها بِمـا وَعَدا
إِذا أَرَدْتَ مَلأْتَ العَيْـنَ مِـنْ بَلَـدٍ
مُستَحْسَـنٍ وزَمـانٍ يُشـبِهُ البَلَـدا

وقد ظهرت في العراق ثلاث حواضن شعرية رئيسة، مرتبطة بالحواضن القديمة، وهي بَغداد والبَصرة والكوفة، ومن الملاحظات الغريبة أن بغداد والكوفة تقعان جغرافيًا في محيط بابل، وأوروك تقع جنوبًا قرب البصرة، أي أن هناك، بشكل أو بآخر، عودة للمركزيات الشعريّة الأولى؛ فحتى إن ابتعدت قليلًا عن المكان الأصلي، فإنها ظلت تتمركز في محيطه بوضوح.

ويمكن القول إن بغداد، تحديدًا، كانت ملهمة للشعراء على مرّ العصور، وظلت حاضرة بقوة في النصوص والصور والدلالات، وحتى في مدح المدن عند الشعراء العرب من المحيط إلى الخليج؛ يقول عنها أبو الحسن الجرجاني:

تَرَحَّلْـتُ عَـنْ بَغْـدادَ أَطْيَـبِ مَنْزِلٍ
وأَبْهَـى بِلادِ اللّـهِ مَـرْأًى ومَنْظَـرا
وفـارَقْتُ أَقْوامًـا إذا مـا ذَكَرْتُهـم
تَرَقْـرَقَ مـاءُ العَيْـنِ ثُـمّ تَحَـدَّرا

برزت دمشق مركزًا ثقافيًا شديد الأهمية

وفي العراق أيضًا، لا بدّ من ذكر الموصل إحدى المدن التي تمركز فيها الشعر خلال العصور الإسلامية، ومن شعرائها: أبو تمّام، وأبو فراس الحمداني، والسرّيّ الرّفاء وغيرهم. وقد كان لتطور الفنون الغنائية فيها أثر في ذلك، وهناك من النقاد من ينسب إليها نشأة الموشّحات؛ يقول السّريّ الرّفاء:

وجـادَ المَوْصِـلَ الغَـرّاءَ غَيْـثٌ
يَجـودُ ولِلْبُـروقِ بِـهِ انْسِـفارُ
كَمـا انْهَلَّـتْ مَـدامِعُ مُسْـتَهامٍ
تَلَهَّـبُ مِنْـهُ فـي الأَحْشـاءِ نـارُ

وفي العصور الإسلامية اللّاحقة، ظهرت الأندلس، التي كانت حاضنة أساسية لحركة شعريّة مزدهرة، كان لها خصائصها ومواضيعها، وتجديدها الشّعري، لكن الغريب في الأمر أن أشهر شعراء إسبانيا في العصور اللّاحقة كان اغلبهم ينتمون إلى منطقة الأندلس، منهم لوركا، وأنطونيو ماتشادو، وغوستافو بيكر، وخوان رامون خيمينيز وغيرهم، ولعل أشهر ما قيل فيها أبيات لسان الدين بن الخطيب:

جـادَكَ الغَيْـثُ إذا الغَيْـثُ هَمـى
يـا زَمـانَ الوَصْـلِ بالأَنْدَلُـسِ
لَـمْ يَكُـنْ وَصْلُـكَ إلّا حُلُمـا
فـي الكَـرَى أو خِلْسَـةَ المُخْتَلِـسِ

مدن الشعر في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث، وجدت مدن آوت الشعراء والحركة الشعرية بعد استقلالها في الخمسينات، وتمركز فيها عدد كبير من الشعراء، وكان فيها نشاط ثقافي ثري، وأهمّها القاهرة وبغداد ودمشق. أمّا حاليًا فقد ظهرت الشارقة حاضنةً شعريةً، تجمع الشعراء وتفتح آفاقًا لتجاربهم ولحركات النقد والدراسات، وتهتم بحفظ إرثه وبتعزيز وجوده في المجتمع العربي.

وبالتدقيق في الخريطة، فإننا نلاحظ بوضوح أن معظم الحواضن الشعرية تتكرر تاريخيًا، وهي غالبًا امتداد لوجود الشعر فيها قبل ذلك، ويمكن النظر مطوّلًا – وبعمق- إلى هذه الظاهرة الغريبة، التي ارتبطت بعوامل كثيرة على كل المستويات، اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، وتمركزت في نقاط جغرافية محدّدة منذ العصور القديمة، ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين ازدهار الشعر، وتطور الحضارة الإنسانية، وموضحة تأثيره المباشر في تاريخ العالم.

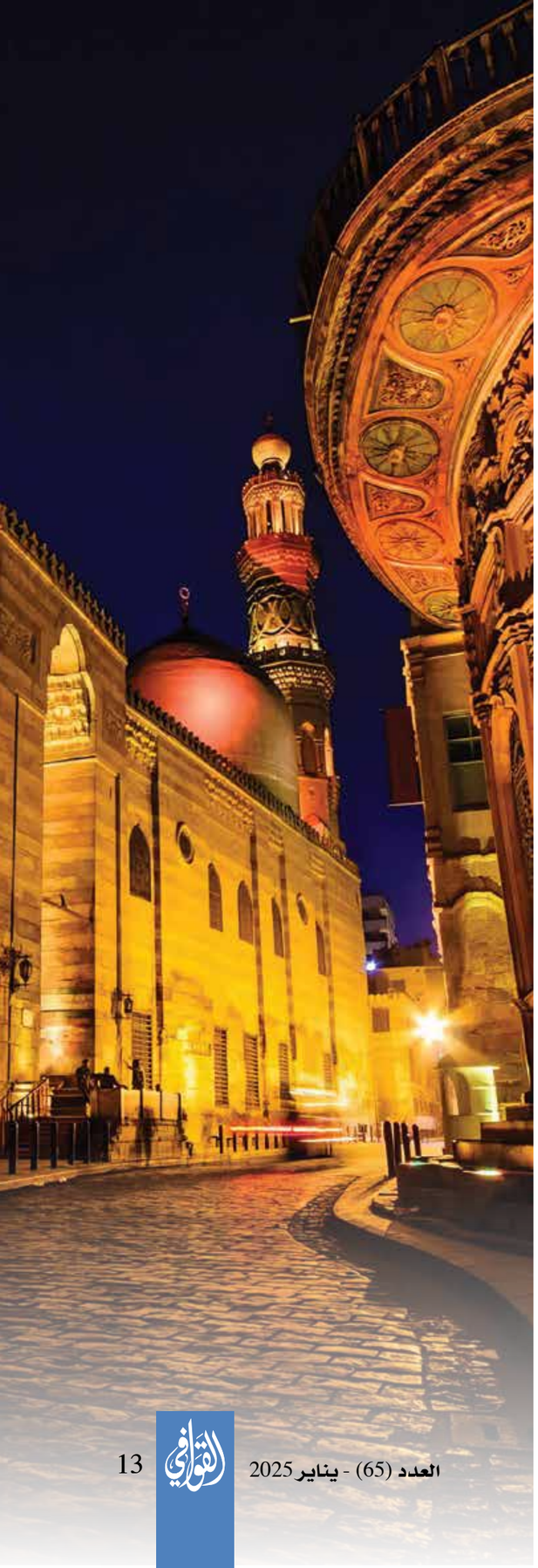

اكتسبت أهمية كبيرة عبر مختلف العصور

المِهْرجانات الشّعرية..

مساحات إبداعيّة خالدة

خاص/ القوافي

تعـد المهرجانات الشـعرية في العالم العربـي تقليدًا عريقًا، اسـتمر لعهود فـي تقديـم أصوات الشـعراء المميزيـن، وصقـل تجاربهم، ولعـل كثـرًا يـرون أن المِهْرجـانات، ظواهر حديثة فـي العالم العربـي، إلا أن المتأمل للحضـارات العربيـة منـذ تكونها في مهد الإنسـانية، سـيدرك أنها كانت سـبّاقة إلى ابتكار البـوادر الأولى لهـذه الفعاليات.

ظهرت أسواق الشّعر ليجتمع فيها الشعراء مرّة في السنة

أدرك الشعراء منذ فجر التاريخ، أهمية التجمّعات الأدبية، وأهمية أن يكون الشعر ضمن ثنائية العرض والتلقّي التي ترتكز عليها التجارب الإبداعية، كما أدركوا أن تبادل الخبرات بين الشعراء، له انعكاس واضح على تطور الحركة الشعرية عبر العصور، سواء كان ذلك بين الأجيال المتعاقبة أو المتماثلة، فنظّموا اللقاءات وظهروا في الاحتفالات، كونهم كانوا لسان المجتمع وصوته الإعلامي والروحي.

نظرة تاريخية:

وإن شئنا العودة إلى أقدم التجمّعات الشعرية التي بدأت في البلاد العربية، فسنجد أن الحضارات في بلاد ما بين النهرين، وحضارة مصر القديمة، كانت تنظم تجمّعات أدبية، شبيهة بالمهرجانات، تكتسي طابعًا مقدسًا غالبًا، وترتبط بالنصوص الدينية.

ثم تطور الأمر في العصور الجاهلية، وظهرت أسواق الشّعر، التي كان يجتمع فيها الشعراء العرب مرة في السنة، مثل «عكاظ»، و«المجنّة»، و«ذي المجاز» وغيرها، وكانت لا تقتصر على إلقاء الشعر أو تبارز الشعراء، بل كانت تمتدّ إلى تفعيل الحركة النقدية، وتقويم القصائد، لإنصاف الجيد منها. وكان هناك عدد كبير من الشعراء الذين سطع نجمهم في هذه الأسواق، وقرأوا قصائد خالدة، مثل الخنساء، وعمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني الذي كان حكمًا نقديًا بينهم؛ ومن أشهر القصائد التي ألقيت في سوق عكاظ، معلّقة عمرو بن كلثوم التي يقول فيها:

وأَنَّـــا الـتَــــارِكونَ إِذا سَـــخِطْنـــا
وأَنَّــا الآخِــذونَ إِذَا رَضِـيْنـــا
وأَنَّــا العاصِمُـــــوْنَ إذا أُطِعْنـــا
وأَنَّــا العــازِمُــوْنَ إِذا عُصِـيْنـــا
ونَشْــرَبُ إِنْ وَرَدْنــا المــاءَ صَفْــوًا
ويَشْـــرَبُ غَيْرُنـــا كَـدِرًا وطِيْنـــا

ومن القصص التي تظهر أهمية هذه الفعاليات التي يتجمع فيها الشعراء عند العرب، قصة الأعشى و«المحلّق»، وهذا الأخير كان فقيرًا له ست بنات، لم يتزوجن، لرقّة حاله، حتى مرّ الأعشى يومًا بطريق بيته، وهو متّجه إلى سوق عكاظ، فأشارت زوجة المحلّق عليه أن يستضيفه ويكرمه، فنحر ناقته وفعل، وردًّا لهذا الجميل، كتب الأعشى قصيدة عن «كرم المحلّق»، فيها ستون بيتًا، وألقاها حين وصل إلى سوق عكاظ، فانقلبت حال «المحلّق» في لحظتها، بسب تأثير القصيدة التي اشتهرت وتأثر بها الناس، ما جعل أشراف العرب يتسابقون لخطبة بناته، فتزوجن جميعًا من علية القوم، ومطلع القصيدة يقول:

أَرِقــتُ ومــا هــذا السُــهادُ المُــؤَرِّقُ
ومــا بِــيَ مِن سُــقمٍ ومــا بِيَ مَعشَــقُ
ولَكِــن أَرانــي لا أَزالُ بِحــادِثٍ
أُغــادى بِما لَم يُمــسِ عِندي وأُطرَقُ

هذا النصّ، لا يظهر أهمية الشعر في حياة العَرب، ومدى تأثيره في وجدانهم ومجتمعهم، فقط بل يظهر قوة تأثير سوق عكاظ، ومن ثمّ تأثير تجمّع الشعراء وصناعة فعاليات شعرية قادرة على صناعة التغيير المجتمعي.

مع بداية العصور الإسلامية استمرّ تأثير الصوت الشعري

ولم يتوقف الأمر على الأسواق فقط، بل إنه مع بداية العصور الإسلامية استمر تأثير الصوت الشعري، ومع بداية العصر الأموي تحديدًا، ظهر «المربد» في البصرة، وتحول نقطة لقاء يجتمع فيها الشعراء والنقاد والأدباء، من أمثال جرير والفرزدق وسيبويه والجاحظ، وهذا السوق تطور لاحقًا ليتحول إلى مهرجان في العصر الحديث، أسسته وزارة الثقافة العراقية عام 1971.

ولا بدّ أن نذكر أن العصر العباسي، كان من أهم عصور تجمع الشّعراء وتبادل التجارب أيضًا، فقد كان الخلفاء يولون اهتمامًا كبيرًا بهذا النشاط الثقافي، وكانت أغلب مجالس الحكام تكتظّ بالقامات الشعرية من مختلف الأجيال، وتحولت منابرَ مفتوحةً لإلقاء القصائد وتبادل النقد وسماع الآراء والتنافس، وقد أسهم هذا بشكل فعّال في ازدهار العصر الأدبي العباسي وتميزّه، ودفع قدمًا عجلة تطور الشعر فيه.

ومن هذه النظرة التاريخية المختصرة، يمكن أن نلمس أهمية إقامة المهرجانات والملتقيات الثقافية، وأهمية جمع الشعراء والنقاد في مكان واحد، وفي مناسبة واحدة، لما لذلك من دور فعّال في إنتاج وعي جمعي بالقضايا الشعرية والعربية، وتعزيز تبادل الرؤى والدلالات والثقافات التي تثري النصوص، وتوسّع تجربة الشاعر على المستوى الإبداعي والإنساني على السواء.

المهرجانات الشعرية في العصر الحديث

ولعل أغلب الشعراء الكبار في العصور السابقة، وقبل اختراع وسائل

العصر العباسي كان من أهم عصور تجمّع الشعراء

التواصل، لم يجدوا مكانًا أفضل من المهرجانات والملتقيات للانتشار عربيًا، والتعارف مع غيرهم من الأدباء والنقاد، بل إن أسماء كثيرة وشهيرة، كان حضورها في مهرجانات عريقة، أهم عامل أسهم في تكريسها، وظل مرورها على تلك المنابر مرتبطًا بمسيرتها عبر الأجيال المتعاقبة.

البردّوني وأبو تمام

من هؤلاء الشعراء، نذكر الشاعر اليمني عبدالله البَردّوني، الذي لبّى دعوة للمشاركة في مهرجان «أبي تمام» في العراق عام 1970، ولم يتوقع أحد أن يكون شعره بتلك القوة والدهشة، لكنه فاجأ الجميع حين صعد إلى المنصة وألقى قصيدته الشهيرة «أبو تمّام وعروبة اليوم»، التي هزّت وجدان الحاضرين، من شعراء ونقّاد وجماهير، ووجهها إلى «أبي

عبدالله البَرْدّوني

محمد الفيتوري

تمّام» الشاعر العباسي الذي حمل المهرجان اسمه، وكان النصّ معارضة لقصيدته الشهيرة:

السَّـيفُ أَصـدَقُ أَنبـاءً مِـنَ الكُتُب
في حَـدِّه الحَـدُّ بَينَ الجِـدِّ واللَعِب
بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في
مُتونِهِـنَّ جَلاءُ الشَـكِّ وَالرِيَـبِ
والعِلْـمُ فـي شُـهُبِ الأَرمـاحِ لامِعَةً
بَينَ الخَميسَينِ لا في السَبعَةِ الشُهُبِ

الشارقة.. ضوء القصيدة ولقاء المبدعين

ويقول البردّوني في نصه :

ما أَصْدَقَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يُنْضِه الكَذِبُ
وَأَكْذَبَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الغَضَبُ
بِيضُ الصَّفَائِحِ أَهْدَى حِينَ تَحْمِلُها
أَيْـدٍ إِذَا غَلَبَـتْ يَعْلُـو بها الغَلَـبُ

أحدثت هذه القصيدة صدى واسعًا، ظل لعقود محفورًا في الذاكرة الشعرية، وكان مروره على منصة المهرجان حدثًا تاريخيًا ليس في مسيرته فقط، بل في مسيرة الشعرية العربية.

الفيتوري والمربد

ومن الذكريات التي بقيت عالقة في ذاكرة المهرجانات العربية، قصيدة الشاعر السوداني محمد الفيتوري، التي ألقاها قي بغداد في الثمانينات، في إحدى دورات مهرجان المربد الشعري، ونالت استحسانًا واسعًا واشتهرت آنذاك.

ولم يتأثر الفيتوري بمهرجان المربد على المستوى الشعري فقط، بل إن تأثيرًا إنسانيًا عميقًا، اكتسبه بعد مشاركته في إحدى دورات المربد، وظل يرافقه إلى آخر حياته، وأسهم في صقل روحه الشعرية والأدبية، ونتج عنه عدد من القصائد الرقيقة.

وفي الأخير يمكن القول، إنّ العصر الحديث قد عرف ظهور مهرجانات شعرية وملتقيات متنوعة في العالم العربي، منها ما ذكرناه، كمهرجاني أبي تمّام، والمربد في العراق، منذ السبعينات، فضلًا عن ملتقيات أخرى في مصر ولبنان وسوريا وغيرها، وصولًا إلى مهرجان الشارقة للشعر العربي، الذي أسس عام 1997، ويستقبل سنويًا عددًا كبيرًا من الشعراء ويفتح لهم أبواب الشارقة المضيافة، ليتمكنوا من اللقاء والتفاعل، والتعرف إلى مختلف التجارب، والاطلاع على أحدث النصوص، فضلًا عن حضور نقاشات نقدية، والاحتفاء بإصدارات الدواوين والكتب.

ليس هذا فحسب، إنما هناك دور مهم للمهرجان، يتمثل في هدم الأسوار بين الشاعر والجمهور، ومن ثم السماح للقصيدة بالتحليق، واكتساب تأثير مضاعف، والحفاظ على الهُوية العربية، وبشكل خاص اللغة العربية، عبر الشعر الذي يعدّ حارسها الأمين، ليكون بذلك شاهدًا معاصرًا على أهمية الملتقيات التي يجتمع فيها الشعراء ليقدموا أجمل ما لديهم، وليطرّزوا بكلماتهم ثوب القصيدة، ويصنعوا لحظات خالدة في التاريخ العربي والإنساني.

سِيرَةُ الفَتَى

أحمد عبد القادر
مصر

وَشَمْتُ خَيْبَةَ عُمْرِي فَوْقَ كَفِّ يَدِي
وجِئتُ أَحْمِلُ أَمْسِي فِديَةً لِغَدِي

قَلبِي بَسِيطٌ كَما زُرّاعِ قَرْيَتِنا
لَكِنَّ عَقْلِيَ يَمْشِي مِشْيَةَ العُمَدِ

وَهَبْتَنِي صِفَةَ الإِبْدَاعِ مَوْهِبَةً
حَتَّى رَفَعتَ طُمُوحاتِي بِلاَ عَمِدِ

كَأَنَّها كِذْبَةٌ بَيْضاءُ.. حِينَ نَمَتْ
سَقَيتُها من سَرابٍ لاحَ في خَلَدِي

وهِمْتُ فِي كُلِّ وادٍ عَلَّ تَجْرِبَةً
تُخَلِّصُ القَلْبَ مِنْ دَوَّامَةِ النَّكَدِ

فانْفُخْ بِرُوحِي صُمُودًا مِن لَدُنْكَ كَما
سَمَّيْتَ نَفْسَكَ يَا اللهُ بِالصَّمَدِ

لِي شَمعَةٌ لَو رَأَتْها الشَّمْسُ غارِقَةً
في حالِمِيَّتِها.. ذابَتْ مِنَ الحَسَدِ

أُضِيءُ لِلنَّاسِ أَرْضَ اللهِ فِي لُغَتِي
كَي لا يَعِيشُوا بِها عَبْثًا على أَحَدِ

لِي خَيْمَةٌ وَسِعَتْ صَحراءَ ذاكِرَتِي
يَنامُ فِيها جُدُودِي دُونَما وُسُدِ

تَمُرُّ مِنْ حَوْلِها الأَيَّامُ مُسْرِعَةً
كأَنَّها حُمُرٌ فَرَّتْ مِنَ الأَسَدِ

والآنَ أَمْرَحُ فِي بَهْوِ الحَداثَةِ لَكِنْ
غَيْرَ دَمْعٍ عَلَى الأَطلالِ لَمْ أَجِدِ

هِيَ الَّتِي خَطَفَتْ قَلبِي فَقُلْتُ لَها:
فِداكِ قَلبِي وما أَبْقاهُ مِنْ جَسَدِي

لَكِنَّها حِينَ قالَتْ لِي «أُحِبُّكَ» قَدْ
لَفَّتْ على عُنُقِي حَبْلاً مِنَ المَسَدِ

يا أيُّها الحُبُّ خُذْ قَلْبِي وخُذْ كَبِدِي
يا أيُّها الشِّعرُ كُنْ صَحْبِي وكُنْ بَلَدِي

يا أيُّها المَوتُ غُضَّ الطَّرفَ عن قَلَمِي
لِكَي يَخُطَّ لَهم مَخْطُوطَةَ الأَبَدِ

قَرَوِيٌّ على بَابِ هذه الأرض

حسن عبده صميلي
السعودية

مِثْلَما تَغْزِلُ أَحْلامَ اليَتامَى
تَغْزِلُ الأَرضُ غَمامًا فَغَمامَا

كان شِعْرًا ماؤُها كَيْفَ إِذَنْ
قَرَوِيُّ الطِّينِ يَصْطادُ كَلاما؟!

لَسْتُ مَنْ يُنْصِتُ لِلرَّمْلِ .. قَلِيلٌ
ذَلِكَ الرَّمْلُ إذا جارى الخُزامَى

وقَلِيلٌ مائِيَ الحافِي إذا ما
صارَ غَيْثًا فِي بِلادِي يَتَرامَى

بابُكِ المُشْرَعُ يَنْثالُ سَلامًا
وأَنا أَحْطِبُ لِلنَّارِ سَلاما

أَتَهَجَّاكِ قَدِيمًا في جِبالٍ
راسِياتٍ.. في حِكاياتِ القُدامَى

ثُمَّ أَمْضِي.. وعَسِيرٌ أَنَّنِي
أَمْضِي ولَمْ أَبْلُغْ على الدَّرْبِ مَرَاما

هَذِهِ الأَرْضُ .. إذا ضِقْتَ تُناجِيكَ
جَنُوبًا وتُناجِيكَ شَآما

هِيَ تَخْتالُ على الطِّينِ اخْضِرارًا
وَهْيَ عَنْ كُلِّ يَبَاسٍ تَتَعامَى

جَنَّةٌ أُولى تُساقِيكَ خُلُودًا
جَنَّةٌ أُولى تُساقِيكَ غَراما

فاقْتَرِحْ يا صاحِبِي مَعْنًى كَرِيمًا
طِينُها يا صاحِبِي فاقَ الكِرَاما

وَمَشَيْنا.. إِنَّ أَرضًا تَرْتَدِي
أَقْدامَنا لَمَّا تُفارِقْنا اهْتِماما

وإذا آوَيْتَ لِلأَرضِ تَذَكَّرْ
كَمْ بِلادٍ أَلْهَبَتْ جَمْرًا نَدامَى

قالَ لِي بابٌ دَخَلْناهُ: لِماذا
لَمْ يُعانِقْ وَجْهُ أَرضِينا لِثاما؟

ولِماذا طُهْرُ أَرضِينا على الجِلْدِ
تَنامَى.. وسِواها ما تَنامَى؟

قُلْتُ: يا بابُ دَخَلْناكَ قُعُودًا
إِنَّما الأَرضُ دَخَلْناها قِيامَا

مسافر

شيخنا عمر
موريتانيا

مُسافر في غَدٍ ليْلٍ.. ولا بَصَرُ
أهكذا الأفْق أمْ ضاعَ الغَدُ القَمَرُ؟
تواطأ الرَّحْلُ والمَسْعَى على غَدِنا
هدْرًا لأوْردةٍ قَدْ هَدَّهَا السَّفَرُ
ما عُدْتُ أحْتَمِلُ الأيّامَ نافِذَةً
يُغازِلُ الضَّوءَ مِن شُبَّاكها النَّظَرُ
غاباتُ نَأْيٍ.. ونايَاتٌ مُؤَوّلَةٌ
ودَمْعُ صُبْحي على ذِكْراكِ يَنْهَمِرُ
زَرَعْتِ بِي قَلْبَ مَلْهوفٍ تمَلَّكَهُ
وَحْيُ الضَّبابِ بِحَقْلٍ خانَهُ الثَّمَرُ
أُجَابِهُ التّيهَ في لَيْلاتِهِ عَبَثًا
لا ظِلَّ للظِّلِّ.. لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ضاعَ الّذي بَيْنَ ما لا قَدْ يُؤَوِّلُهُ
نَعْيُ الهَوى حينَ ضاعَ الخَطْوُ والأثَرُ
رُغْمي ورُغْم اقْتِرافِ القَلْبِ أَخْيِلَةً
لا تَسْتَبيحُ لهُ ما خَبّأ القَدَرُ
أجوبُ مُنْحَدَراتِ العُمْرِ مُعْتَرِفًا
أنّي من الأفُقِ الوَرْدِيِّ أَنْحَدِرُ
لَكِنّهُ التَّوْقُ يُذْكيني بِجَذْوَتِهِ
فَكُلّما انْطَفأَ الماضي سأسْتَعِرُ
رُغْمَ ارْتدائي جُنوني ذاتَ قافِيَةٍ
ما لامَني فيكِ إلّا السَّاحِرُ الوَتَرُ

أُرِيقُهُ في مَساماتِ المَساءِ رؤىً
والرّيحُ تَعْزِفُهُ لَحْنًا لِمَنْ عَبَروا
رَسَمْتُ آخِرَ مَعْنىً لِلْهوى بِيَدٍ
تَكادُ تَغْتالُني في وَشْمِها الصُّوَرُ
مَعي عَباءةُ دَرْويشٍ وسُبْحَتُهُ
ولي بِمَقْهىً قَصِيٍّ ذلك السَّمَرُ
ما أَمْطَرَتْ لُغَتي مَعْنى أُساقُ لَهُ
إلّا لِيَهْطُلَ مِنّي الشّاعِرُ المَطَرُ
هَذي الحَياةُ مَواعيدٌ مُؤَجَّلَةٌ
وكُلّها - في انْتِظارِ المُنْتَهى- عِبَرُ
المَوْت.. ما أَوْجَعَ المَوْتَ.. انْتُظارُ غدٍ
يَمْضي بِنا صَوْبَهُ في سَيْرِهِ العُمُرُ
فَكَّرْتُ في السّالِفِ المَنْفيّ كَيْفَ بِهِ
تَجاذَبَتْه إلى منْسيِّهَا الفِكَرُ
مَرَتْ ثلاثون.. والأيّام تَعْبُرُ بي
نَحْوي..لأعْرِفَ ماذا فِيَّ أَنْتَظِرُ؟
سافَرْتُ في وَجَعِ النِّسْيانِ مُدَّكِرًا
كادَتْ خُطايَ لِغَيْرِ الأرض تَدَّكِرُ
رَبّاهُ رُحْماكَ.. كَمْ غالَبْتُ ناصِيَتي
هذا أنا في غِلابي هَدَّني السَّهَرُ
مازِلْتُ أَحْمِلُ في طَيّاتِ ذاكِرَتي
أُنْثى هي الوَطَنُ المَوْعودُ والوَطَرُ

صاحب تجربة شعرية غنية ومؤثرة

السوريّ حسين العبدالله:

الشّعر يُحفَظ في القلوب لا على الورق

أحمد الصويري
السويد

تمتاز قصائده بالرِّقّة والعذوبة والعمق، متمسكًا بأصالة الرّوح الشاعرة، ومنطلقًا منها إلى عوالم من رسمه وتلوينه ظلّ وفيًّا للشّعر في ترحاله الكثير، وحاملًا على عاتقه مسؤوليّة الشاعر المثقّف الذي أخلص للشعر فكان الشعر مخلصًا له هنا حوارٌ تناولنا فيه جوانب عدّة، تتعلّق بالشعر والنقد والهُويّة الثقافيّة والانتماء للبيئة، نستضيف فيه عبر هذا العدد من «القوافي» الشاعر السوريّ حسين العبدالله.

ما زال الشعر العربي جسرًا يصل بين الأصالة والتجديد

- شاركت من قبل في أمسيات بيت الشعر في الشارقة؛ ما الذي تمثله لك هذه المشاركة؟

احتضنتني دولة الإمارات لأربع سنوات، قبل خمسة وعشرين عامًا، وكانت بوّابة انطلاقتي الأولى التي منحتني أساس النجاح في مساري العلمي والعملي بعد سوريا. واليوم، أعود إلى الشارقة، لأجد نفسي على أعتاب انطلاقة جديدة، أرجو الله أن تكون أساسًا لنجاحات في مجال الشعر

أتيت إلى الشارقة شاعرًا مهاجرًا، فلا عجب أن تتضاعف سعادتي حين أجدني واقفًا على ركيزة منبر بيت الشعر، محاطًا بما وجدته من حفاوة وتكريم. ولا يخفى على متابع للمشهد الثقافي ما لبيت الشعر من دور رائد.

إن دور صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، في دعم الشعر والشعراء، يعدّ مثالًا حيًّا يُبرز ريادة الشارقة في رعاية الثقافة والفنون بشكل عام، ويعزز مكانتها عاصمةً للإبداع. في الشارقة، لا يقتصر الشعر على كونه فنًا، بل هو جزء

جميل أن يحمل الشعر
وكل فن شيئًا من القيم

من الهُويّة الثقافية، يتعهد بالاحتفاء بالمبدعين وينمّي الأجيال الجديدة، ما يجعل الشارقة واحةً للتميّز والإبداع.

- تشي قصائدك بالكثير من التعلق بالبيئة التي نشأت فيها؛ هل ترى في هذا الأمر خصوصية لقصائدك أم سيطرة لمحيط يعيش معك أينما ارتحلت؟

أنا ابن مدينة تغفو على أكتاف جنة، هذا ما يقوله الفرات وهو يتهادى نحو صدر العراق الحبيب. ديرالزور! تلك الجوهرة الحبيبة التي أعطتنا الكثير، لم يعد انتمائي لها وارتباطي بها مجرد فطرةٍ وهُوية وعشق، بل عهد ومسؤولية. وكأني بها علّمتني الشعر لأكون صوتها، وليكون شعري نافذة تُشرِع للعالم ليرى الناس شطرًا من جمالها وجمال أهلها، بعيدًا من تلك الستائر والنوافذ المعتمة. فشكرًا لسؤالك الذي أراه يخبرني، كما أخبرني قبل ذاك قوافل من الأحبة من أصقاع الوطن العربي، أن صوت مدينتي قد بلغهم صداه، حاملًا عبق تاريخها، وطيبة أهلها، وأنغام«الموليَّا»، وهسهسة التنانير، وصوت كل أمٍّ من أمهاتنا هناك وهي تهمس لكل عابر سبيل «هلا يا عيني»!.

- لك تجربة طويلة مع الاغتراب؛ هلّا تحدّثنا عن معادلة الاغتراب والشعر، كيف يؤثر كل منهما في الآخر ؟

الاغتراب إمّا أن يعلمك دروسًا في الحياة، فيكون الشعر خلاصتها، أو هو يجلدك بألف سوط فيكون الشعر صدى جراحك.

قديمة قصتي مع الترحال، وكثيرة محطات السفر التي شاطرتني العمر على مدار 25 عامًا. كانت إحداها «باريس» التي أغرتني عام 2005 بمنصب مرموق في إحدى الشركات الدولية، ومنحتني الإقامة المؤقتة، ودلَّلتني، غير أني ما أطلت القعود فيها، وغادرتها هاربًا من كل مغرياتها. تلكَ، وشبيهاتُها من المحطات، كانت غربة «ترَفٍ». أما الغربة الحقيقية، فهي غربتنا بعدما تبدَّل وجه الياسمين، وصار مشوبًا بالدم والدموع؛ هي غربتنا بعد أن صار الملايين من أهلي يحملون بطاقة «لاجئ»، فيصرخ شعري بلساني هنا في مهجري: صِفْرٌ أنا والرَّقْمُ كان مَدينَتي / مِنْ دونِها ما قيمةُ الأصْفارِ .

ثم يصرخ بلسان التائهين هناك: وأتْعسُ مَنْ تَغرَّبَ عن بلادٍ ... هو المنفيُّ عنها وهْوَ فيها

وما أصعب أن يحمل الشعرُ أمانة غربتين.

- «لو أمطرت ذهبًا» القصيدة التي دخلت في مناهج تعليمية في أكثر من بلد عربي؛ ماذا تعني لك فكرة أن تُدرَّس قصيدتك للتلاميذ في المدارس؟

أحمد الله الذي كتب لهذه القصيدة قبولًا وانتشارًا وأثرًا واسعًا، ولا أخفي سعادتي بذلك وبكونها اعتمدت في بعض المنهاج والمسابقات المدرسية وغيرها في دول عدة، من ضمنها مسابقة «تحدّي القراءة»

وسائل التواصل منحت الشاعر
نوافذ يحقق منها غايته

و«فارس الشعر» في دولة الإمارات. سعيد لأن ذلك شيء من النجاح والتكريم، ثم لكونها قصيدة في الأب وتحمل قيمة تربوية أحسبُها مؤثرة بقالبها الشعري في الصغار والكبار. وقد سبق ذلك أن كتبت قصائد في الأم لاقت شيئًا من القبول والانتشار، تم ترجمة إحداها من قبل وزارة التربية التركية، ووزّعتها على مئات المدارس الثانوية في تركيا، حيث حفظها كثير من الطلاب الأتراك وتنافسوا بها في المسابقة الدولية للغة العربية عام 2019 بين قصائد أخرى لشعراء معاصرين وقدامى؛ والحمد لله فازت إحدى الطالبات بالمرتبة الأولى بحفظها وإلقائها لقصيدتي.

الشعر فن .. وجميل أن يحمل الشعر، وكل فن، شيئًا من القيم والرسائل الإنسانية السامية، وأن يلامس القلوب ويتداوله الناس.

- نشرت ديوانك الأول متأخرًا، فهل لدى حسين العبدالله موقف من النشر، أم هو تأنّي الشاعر أو الرقيب الذاتي؟

قيمة الشعر أن يُحفر ويُحفظ في القلوب والذاكرة لا على الورق. في عصرنا الذي باتت فيه الكلمة محمولة على أجنحة الضوء، عابرة للأقطار

على الشاعر أن يحمل هوية شعرية تميّزه

في غمضة عين عبر مواقع التواصل، يبقى للكتاب نكهته وأهميته، ولكن وسائل التواصل منحت الشاعر نوافذ يحقق منها غايته في التواصل مع شريحة واسعة من الجمهور. لو كان الخيار لي، لتمهّلت أكثر في إصدار ديواني الأول؛ فأنا بطبعي طموح ومَيّال إلى المثالية والسعي نحو التميز في كل ما أقدم عليه. هذا السعي أرهقني في بعض الأحيان، لكنه بفضل الله كان وراء نجاحات عدّة، سواء في العمل أو في مختلف مواهبي الأخرى. كما أنني طالما حلمت أن يخرج ديواني الأول إلى النور في مدينتي، في وطنٍ تحنُّ له روحي، وأمام جمهور من أهلي وأحبتي. حلمت أن أقف على مسرح المركز الثقافي في مدينتي، وأن يكون الفرات أول من يصفق لي، ووسط ذاك الطموح وتلك الأحلام، كان عليّ أن أستجيب لرغبة كثير ممن أحبوا شعري، وطالبوني بإصدار الديوان، ثم كان عليّ أن أواكب الواقع

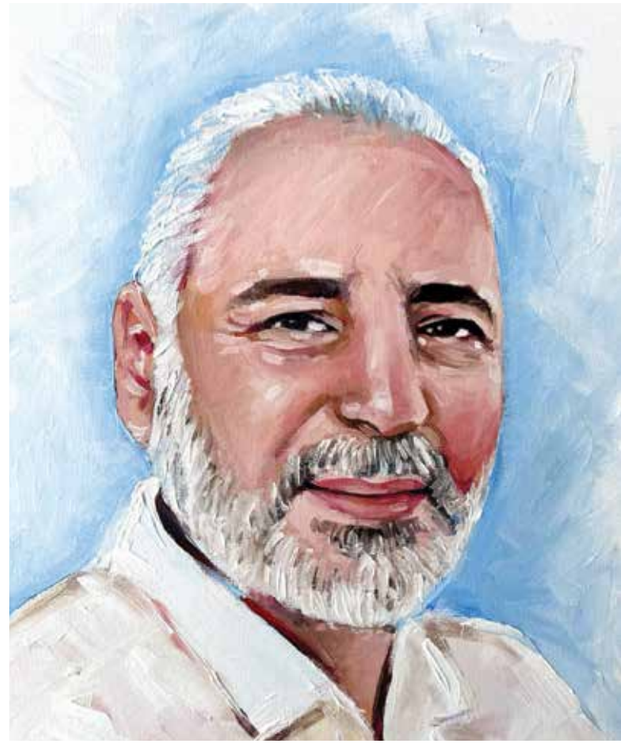

الذي فرض معاييره، فاليوم، أصبح رصيدك من الكتب المطبوعة معيارًا يحكم على إنجازاتك الأدبية، بصرف النظر عن محتواها أو رسالتها.

- هل ترى أن النقد يواكب الحركة الشعرية في يومنا هذا؟ وما الأدوات التي يحتاج إليها الناقد ليكون أكثر حضورًا؟

ما زالت أحدث الأفران وأعقدها في العالم عاجزة عن إنتاج رغيف خبز بنكهة رغيف أمي، ذاك الذي كانت تعجنه وتخبزه بحبّ، وتخرجه من تنور من الطين؛ يشبهُنا ونشبهُه!. كذلك النقد الأدبي: مهما بلغ من التعقيد الأكاديمي والجِدّ البحثي، يبقى مفتقدًا نكهته الحقيقية إن لم يمزجه الناقد بروح المحبة ويقدمه بنبلٍ وتواضع لمن هم معنيون بالكلمة.

لست ممن ينتقصون من قدر الدراسات الأكاديمية، بل أراها نبراسًا إذا استطاع الناقد أن يطوّعها برفق، ويصنع منها جسرًا يلامس ذائقة الجمهور ويهذبها، من دون أن يشعر القارئ والشاعر – أو صاحب الموهبة الشعرية - بنبرة التفاخر أو الاستعلاء. فالنقد حرفة سامية، لا يصلح أن تمارسها إلّا النفوس السامية. والنقد كما أفهمه وأحب أن أراه، هو كفَنّ الأم في صناعة الخبز، لا يُبتغى به سوى أن ينضج النص وأن يصل إلى المتلقّي في أبهى صورة. لست قريبًا من النقّاد، ولا أجدني راغبًا في البحث عنهم وقرع أبوابهم. ولكن، إن مرّ أحدهم بتجربتي الشعرية ووجد فيها ما يستحق الالتفات إليه، فسأكون حينها سعيدًا وممتنًّا لرؤيته وهو يمدّ يده إلى كلماتي وروحي. الناقد الأبرز هو الجمهور، وعلى الناقد الأدبي المختص والحقيقي أن يصبّ جهده ليصل إلى الجمهور.

- في ظل وسائل التواصل الحديثة وسرعة النشر والاختلاط بالآخر، هل انصهرت ملامح القصائد بعضها في بعض، أم ما زال بإمكان الشاعر أن يكون ذا بصمة خاصة؟

لو كان السؤال عن ضرورة أن يحمل الشاعر بصمة وهُويّة شعرية تميّزه، فالجواب من دون تردد: نعم، فهذا من المسلّمات. أما عن أدوات تحقيق هذه البصمة، فتلك قصة أخرى، إذ تتباين بتباين الأرواح وتفاوت الذوات؛ فهي ترتسم من عبق الروح، من تمايز المخزون الإنساني، ومن أعماق التكوين الذاتي. في النهاية، نبضة قلب صادقة، حِيكت بخيوط من الجمال والإتقان، وتوشّحت بنسمة إحساس عميق، لا بد أن تبزغ وسط زحمة الأصوات.

- أين يقف الشعر العربي من بقية الفنون الإبداعية اليوم، بحسب ما تراه؟

ما زال الشعر العربي جسرًا متينًا يصل بين الأصالة والتجديد، محافظًا على جذوره الراسخة في التراث، بينما يمدّ أغصانه نحو آفاق التجديد. في ظل سطوع الفنون البصرية وتنامي الأدب السردي، يبقى الشعر صوت الروح ولغة المشاعر، فنًا لا يُضاهى تعبيره. هو المزيج المثالي بين الموسيقا والكلمات، والعفوية والعمق، ما يجعله نافذة تطلّ منها الروح على عالم الإبداع، ومحطة تجمع محبّي الجمال على اختلاف أذواقهم.

لو أمطرَتْ ذهبًا

حسين العبدالله - سوريا

لو أمطرتْ ذهبًا مِـن بعد ما ذهبَا ... لا شيءَ يعدلُ في هذا الوجودِ أبا

مازالَ فـي جبهتي من عطرِ قُبلتِهِ ... مـازالَ يطعمنـي التفـاحَ والعِنبا

مازلتُ فـي حجرِهِ طفلاً يلاعبُني ... تـزدادُ بسـمتُهُ لـي كلمـا تعبـا

لـم يحنِ ظَهرَ أبي مـا كان يحملُهُ ... لكـنْ ليحملَني من أجلـيَ انحدبا

وكنتُ أحجُبُ في نفسـي مطالبَها ... فكان يكشـفُ عما أشتهي الحُجُبا

أغفـو وأُمنيتـي سـرٌّ ينـامُ معي ... أصحو وإذ بأبي مـا رُمتُ قد جلَبا

كفَّـاهُ غيـمٌ ومـا غيمٌ ككـفِّ أبي ... لم أطلبِ الغيثَ إلا منهما انسـكبا

يـا ليتني خاتمٌ فـي خُنصرٍ وكما ... قد شـئتَ يا أبتـي قلبتَـهُ انقلبا

يا ليتني الأرضُ تمشي فوقها فأرى ... من تحت نعلِـكَ أنِّي أبلغُ الشُّـهُبا

مهمـا كتبـتُ به شِـعرا فـإنَّ أبي ... في القـدرِ فوقَ الذي في الشـعرِ قد كُتبا

يا من لديـكَ أبٌ أهملـتَ طاعتَهُ ... لا تنتظر طاعـةً إن صرتَ أنتَ أبا

فالبـرُّ قـرضٌ إذا أقرضتَـهُ لأبٍ ... يُوْفيكَـهُ ولـدٌ والبـرُّ مـا ذهبـا

لا تنتظر موتَهُ صِلْ في الحياةِ أبًا ... لا ينفعُ الدمعُ فوقَ القبرِ إن سُكبا

وسيلةٌ عصريّةٌ لترويجها

حفلاتُ توقيع الكُتُب..

مناسبة ينتظرها المؤلّف والنّاشر

عبد الرزّاق الربيعي

كثـرت حـفلات توقيـع الكتـب، وصـارت من الأنشـطة البـارزة فـي المعارض والفعاليـات الثقافيـة، بحيث صار من المألـوف أن يقطع عدد من المؤلّفين مسـافات طويلة، ويسـافرون من بلد إلى آخـر، لتوقيع كتبهـم. وهنا نتوّجه بالسـؤال إلـى عدد مـن الكتّـاب والأدباء: مـاذا يعني أن توقّـع كتابًا لك؟ وهل يعـدّ ذلك فرصة لتسـويقه، وتعريف الأوسـاط الثقافية بـه وبصاحبه، ولفت وسـائل الإعلام؟

جهد أقل واتّصال مباشر

د. صلاح جرار

يرى معالي الدكتور صلاح جرار، وزير الثقافة الأردنية الأسبق، في حفلات توقيع الكتب «وسيلة عصرية لإشهارها، والتعريف بالشاعر، والترويج للكتاب بجهد أقل وزمن قياسي، وفي هذه السنّة الحميدة ما يجعل المؤلف، أو الشاعر على اتّصال مباشر بجمهوره الذي يرغب عادة في لقائه وجهًا لوجه. أما في ما مضى من الزمن، فكان إشهار الكتاب أيًا يكن موضوعه يحتاج من المؤلف إلى مزيد من الوقت، والجهد، والكلف، فضلًا عن ضرورة الاستعانة بوسيلة إعلامية مميّزة، ولم يكن ذلك ميسرًا لكلّ مؤلف، أو شاعر. لكن قد يؤخذ على احتفالات توقيع الكتب في الآونة الأخيرة، أنها لم تعد تميّز بين الغثّ والسمين، بل إنها قد تعلي شأن الأعمال الضعيفة».

ودعا جرار، المؤسسات التي تيسّر للمؤلفين حفلات توقيع كتبهم وإشهارها، مراعاة اختيار الأعمال المتميزة الرفيعة، تكريمًا وتشجيعًا للتميّز والإبداع الحقيقي. ويصف شعوره عند حضوره حفل توقيع كتاب جديد له، بأنّه شعور جميل، ومريح للنفس، لأنه يأتي بعد جهد كبير ومتابعة حثيثة، ويتيح فرصة مهمة لإيصال الأفكار والآراء والحقائق العلمية التي بذل جهودًا كبيرة في التوصل إليها.

انتصار للشعر والشعراء

شيخة المطيري

أما الشاعرة شيخة المطيري، فقالت: «غمرني شعور بالسرور، وأنا أوقّع ديواني «فاصلة.. نقطتان»»، في مهرجان الشارقة للشعر العربي، بدورته الـ 19. وإلى جانب هذا الشعور لم أخفِ ارتباكي في كل مرة يقام لي حفل توقيع ديوان، لأنك تضع فيها القصائد بين يدي القارئ، وتقدم ديوانك للنقد، والقراءة. وكم أجد في هذه المناسبات فرصة لوضعي على المحكّ الحقيقي والمواجهة». وتضيف: «توقيع ديوانك الشعريّ، يعني أنك توقع على وثيقة بقائه بين أيدي المتلقي والناقد والمكتبة والحياة؛ أما أنا فإنني كائن قلق جدًا حيال أمر توقيع الدواوين، فلا أملك الثقة العالية، بأن تكون القصيدة الصامتة بين يدي قارئها، وأظن كثيرًا أن الإلقاء ربّما يخفي خجل القصيدة، حين تُلقى، أو ضعفها أو كونها عادية.. وهذا ما كنت أفكر فيه». وقد أبدت شيخة

حرجها من عدم تذكّر أسماء أصدقاء، خلال حفل التوقيع، بفعل الضغط الذي يسبب ارتباكًا؛ «فالذين يحضرون هذه الحفلات يحرصون على الحصول على نسخ ممهورة بإهداء الكاتب، وتوقيعه، مهما تكن الكلمات التي ينقشها الكاتب على صفحة الإهداء.. لكنّها ترى في الاحتفال بشكل عام انتصارًا للشعر، والشعراء ولديوان العرب الذي ظنّ بعضهم أن زمنه انتهى، وأنه لم يعد قادرًا على استيعاب قضايانا».

عائد ثقافيّ ومادّيّ

سعيد الصقلاوي

بينما يرى الشاعر سعيد الصقلاوي، رئيس الجمعية العُمانيّة للكتّاب والأدباء، أن حفلات التوقيع، احتفاء الكاتب بكتابه، والناشر بالكتاب، والقارئ بلقائه كاتبه المفضّل؛ وهناك عائد مادي وثقافي. لذا يستثمر الناشرون معارض الكتب، كونها تجمع أكبر عدد من القرّاء لتوقيع كتبهم، وهذا ما لاحظناه ليس في معارض الكتب العربية فقط، بل الأجنبية، أيضًا، كمعارض الكتب في باريس وفرانكفورت وغيرهما من المعارض الكبرى. ويحرص بعض القرّاء على حصول نسختهم من الطبعات الأولى من الكتب، حال صدورها، كما حصل مع سلسلة «هاري بوتر».

بحاجة إلى المراجعة

علاء جانب

ويتحفّظ الشاعر علاء جانب، على حفلات التوقيع، ويرى أن الحال الشعرية كلّها تحتاج إلى مراجعة، والشعراء يحتاجون إلى مراجعةِ الهدف من تأليفِ الشعر، ومراجعةِ أمر التواصل مع الجمهور، خاصة شعراء الفصحى، ثم مراجعة تقاليد حفلات التوقيع هذه. موضّحًا أن «بيع الديوان» بهذه الطريقة فيه رائحة استجداء يجب الترفّع عنها، وهي تسبب نوعًا من الحرج للكاتب، إذا لم يُبَع عدد كبير من النسخ. وفيها إحراج لمن لا يشتري الديوان من الضيوف، خاصةً إذا كانت دعوتهم شخصية، إذ ربما لم يكن لديهم رغبة في اقتناء الديوان. وكذلك لا يستطيع الكاتب أن يوزّع الكتاب مجانًا على الحاضرين، إذ ربّما كثر العدد، إلّا إذا كان مقتدرًا على شراء النسخ من الدار، وإهدائها للحاضرين.. وطبعًا ليس كلّ الشعراء لديهم هذه القدرة، لأن الإغلبية العظمى، ربما يستدينون لتسديد نفقات طباعة دواوينهم.

صداقات وقيم مضافة

ماهر الكيالي

ويتحمّس الناشرون كثيرًا لحفلات التوقيع، لأنها توفّر منصّة تسويقية لكتبهم؛ يقول الناشر ماهر الكيالي، مدير المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت: إن حفلات التوقيع أصبحت شائعة في معارض الكتب، لما لها من أثر إيجابي في الترويج للكتاب، وتنبيه القرّاء لصدوره. كما أن توقيع الكاتب يعطي قيمة مضافة للكتاب، والكثير من الصداقات بين الكتّاب والقرّاء، نشأت في مثل هذه الحفلات التي وفّرت فرصة هذه اللقاءات.

صبغات ثقافية

بلال ستار محسن

ويقول الناشر بلال ستار محسن: إن حفلات توقيع الكتب، تتجاوز بيع الكتاب إلى التعريف بمحتوياته، عبر الأحاديث المتبادلة بين الناشر والكاتب والقارئ، واللفت إلى الكتاب؛ من هنا نحرص على تنظيم هذه الحفلات، التي تصاحبها في أحيان كثيرة قراءات شعرية، وسردية لمؤلّفيها لإضفاء صبغة ثقافية على الحفل.

الترويج للكتاب

عدنان الصائغ

ويرى الشاعر عدنان الصائغ، أن الهدف في النهاية، هو الترويج للكتاب وبيعه؛ ففي أوروبا يقطع الناشر تذكرة على حسابه الشخصي، ويحجز فندقًا، حين يسمع أن مؤلّفا طبع نتاجه عنده، يقيم أمسية في مكان ما، حتى لو كان في أقصى نقطة، فيتوجّه حاملًا كتبه، بعد التنسيق مع المؤلّف، واستثمار تلك المناسبة لبيع كتبه، لمن يرغب من حضور الأمسية، ممهورًا بتوقيعه. ويختم الصائغ كلامه بألم: «يبقى الكتاب

صناعة، والناشر الغربي يبتكر مختلف الأساليب للترويج لصناعته، ومنها تنظيم حفلات التوقيع؛ وللأسف يحتاج ناشر الكتاب العربي إلى الكثير لمعرفة هذه الأساليب، لكي يصل الكتاب إلى القارئ».

أهداف ثقافية

إبراهيم محمد إبراهيم

ويستبعد الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم، أن يكون الهدف من إقامة بعض المؤسسات، وخصوصًا الحكومية، لحفلات توقيع الكتب لأغراض تجارية، وعرض الكتب للبيع؛ فهذا الأمر يتعلّق بتوجّهات الجهة التي تقيم تلك الحفلات.. فإذا كانت تلك التوجّهات ثقافية، فبالتأكيد يكون الهدف ثقافيًا. فبعض المؤسسات الثقافية، تقيم حفلات توقيع لكتب توزّع هدايا للحضور.

فضاءات مفتوحة

عمر عنّاز

ويرى الشاعر عمر عنّاز، أن للمكان سلطة في صناعة المشهد؛ وقد وقّعت ديواني «طلعٌ مُشْتهى»، في حديقة عامّة، ترتادها الجاليات العربية بمدينة «عينتاب» التركيّة، قاصدًا في اللجوء إلى هذا الفضاء المفتوح، أن أكسر نمطية الفضاء المغلق الذي جعلنا أسرى لتقاليد اليافطة، وديباجة التقديم، والطقوس الرسمية التي يتبادل فيها الحضور الابتسامات المتكلّفة؛ الحضور الذين قد يكون الكثير منهم، قد حضروا بدافع الالتزام بانتمائهم للجهة المنظّمة أو التعوّد على ارتياد المكان.

وعن الصعوبات التي واجهته عند تطبيقها يقول: «كانت فكرة صعبة التطبيق على قدر ما فيها من عفوية شكلية، افترشت فيها كتبي على المقعد، وبدأتُ استقبال القادمين من أدباء، وشعراء، وكتّاب، وعشّاق كلمة، لم يحملهم على المجيء يقينًا سوى أحد أمرين: محبتهم للشّعر أو الشّاعر، وتشاركنا جميعًا في صناعة حدثٍ طيبٍ وجدت له وقعًا كبيرًا في نفوس الكثير من الأصدقاء والمتابعين الذين أشادوا بالمبادرة».

ومهما تعدّدت وجهات النظر، تبقى حفلات توقيع الكتب أعراسًا ثقافية ينتظرها الكاتب والناشر والقارئ، على السواء.

تزخر بالإرث الإبداعي والفني والحضاري

صَحَم العُمانية .. واحةُ الشِّعر والبَلاغة

حسن المطروشي
عُمان

ولايــة صَحَم هــي إحدى ولايــات محافظة شــمال الباطنة في سلطنة عُمان؛ ولايــة عريقــة تزخــر بالإرث الإبداعــي والفني والحضــاري الضارب في القدم، لاســيما أنها تنتمي إلى منطقة سَــهْل الباطنة التــي كان لهــا حضــور بالــغ الأهميــة فــي تاريــخ عُمــان، منذ عصــور ما قبــل الإسلام. فهــذه المنطقة كانــت الموئل لأزد عُمــان الذين خرج منهــم العباقرة والأدبــاء، والأعلام، والقــادة الذيــن ســجل التاريخ أســماءهم بأحرف مــن نور.

خرج منها العباقرة والأدباء والأعلام والقادة

تستيقظ هذه الولاية كل صباح، لتطلّ على بحر عُمان الأسطوري الذي يمتدّ شرقها بقصصه وأسراره وأحداثه الصاخبة، فيما تتاخمها من جهة الشمال ولاية صُحار، بعظمتها التاريخية ومجدها الخالد. وتمتدّ غربًا لتعانق ولايتي يَنقل وعَبري. أما على ساعدها الشرقي، فتغفو ولاية الخابورة، شقيقتها في الجمال والشموخ. ويتداخل في تضاريسها الساحل بالسهل والجبل.

وتحتضن صَحَم الكثير من المواقع التاريخية والأثرية، مثل حصن الفليج وحصن صَحَم، وحصن آل بريك، وحصن الحجرة، وحصن الشيخ، وقلعة الرواشد، وقلعة آل حليس، وقلعة الردة، وبرج العقير، وبرج خور الحمام... وغيرها.

وهنا سنتوقف عند بعض الأعلام من ولاية صَحَم الذين تركوا إرثًا معرفيًا وشعريًا، وكان لهم إسهام بارز تتناقله الأجيال.

حين نذكر صَحَم، فإن أول ما يتبادر للأذهان عَلَمُها البارز أبو العبّاس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي العُماني، المعروف بالمُبرِّد

تطلّ على بحر عُمان الأسطوري

(210 - 285 هـ - 825 - 898م). أحد أعلام الحضارة الإسلامية، وأحد العباقرة الذين أنجبتهم عُمان في علوم اللغة والنحو والشعر والأدب عمومًا. ولد المُبرِّد في البصرة، فيما تؤكد المصادر التاريخية أنه من بني ثُمالة من أزد شَنوءة، وفي ذلك يقول البُحتري:

مـا نـالَ مـا نـالَ الأميـرُ محمّـدٌ
إلّا بِيُمْـنِ محمّـدِ بـنَ يَزيـدِ
وبَنـو ثُمالَـةَ أنْجُـمٌ مَسْـعودةٌ
فَعَلَيْـكَ ضَـوْءُ الكَوْكَـبِ المَسْـعودِ

ذكره العوتبي في كتاب «الأنساب»، بوصفه أحد أعلام أزْد عُمان، في سياق حديثه عنهم وأبرز أعلامهم الذين عاشوا في البصرة خلال تلك الفترة، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن دريد، وغيرهما. أما بقية المصادر العُمانية فتحدد نسبته إلى مقاعس أو مقاعسة، التي تقع بين صَحَم والخابورة في التقسيم الإداري القديم لعُمان، أما الآن فإن بلدة مقاعسة تقع ضمن ولاية صَحَم. يقول المؤرّخ سرحان الإزكوي في كتابه (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة): «والمبرد صاحب كتاب الكامل من المقاعس من هجار». ويؤكد الشيخ سيف بن حمود البطاشي في كتابه (إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان) أن المبرد: «أصله من مَقاعس، هكذا يوجد في أثر أصحابنا المشارقة؛ ومَقاعس: بلد بين صَحَم والخابورة، من ناحية الباطنة». ويقول الشيخ سليمان بن خلف الخروصي، في كتابه «شاعر عُماني وقصيدة»: «ومحمد بن يزيد المُبَرِّد من مَقاعس من صَحَم».

أما الشاعر سعيد الصقلاوي، فيقول عن المُبرّد في كتابه «شعراء عُمانيون»: «تتداخل الآراء في موقع مولده وكذلك سنة ولادته؛ فبعض الروايات تقول إنه من أهالي منطقة مَقاعسة الواقعة بين ولايتي صَحَم والخابورة، ولكنها لا تجزم بتاريخ ولادته في هذه المنطقة أو نشأته فيها، وإنما تشير إلى مسكنه فيها وأنه من أهالي المنطقة، وهذا يعني أن أسرته منها وربما رحلت الأسرة إلى البصرة، وكان الطفل صغيرًا وربما يافعًا. والمقصود من الإشارة إلى مسكنه هو مسكن أسرته وربّما رحلت الأسرة قبل ولادته».

كان المُبرِّد إمام عصره، وحجّة زمانه في اللغة والأدب والشعر، حتى قال عنه أحمد بن عبد السلام:

وكانَ الشِّـعْرُ قَـدْ أَوْدى فأَحْيـا
أبـو العَبّـاسِ داثِـرَ كُلِّ شِـعْرِ

وجاء في الموسوعة العُمانية عن سبب تلقيبه بالمُبَرِّد: «قيل: لحسن وجهه، وقيل: إن شيخه أبا عثمان المازني، هو من أطلق عليه اللقلب، لحسن جوابه، فقد كان يُسكت مخاليفه بالحجّة الدامغة». أما هو فقد قال عن ذلك شعرًا، كما جاء في كتاب «المَجموع اللّفيف» لابن هبة الله من شعر المُبَرِّد:

إسْـمُ المُبَـرِّدِ فـي مَعْنـاهُ مُقْتَضَبٌ
حَقّا كما اشْـتُقَّ داجي اللَّيلِ مِنْ نَسَبِهْ

تحتضن الكثير من المواقع التاريخية والأثرية

وقَلّمـا أَبْصَـرَتْ عَيْنـاكَ ذا لَقَـبٍ
إلّا ومَعْنـاهُ إنْ فَكَّـرْتَ فـي لَقَبِـهْ

وتشير المصادر إلى أن المُبَرِّد، ترك نحو أربعين كتابًا، إلّا أن أكثرها مفقود، ولم يتبقَّ منها إلا القليل أبرزها: «الكامل في اللغة والأدب»، و«طَبَقات النَّحْويين البَصْريين وأخبارهم» و«المَقْصور والمَمْدود»، و«المذكَّر والمؤنَّث»، و«شَرح لاميّة العرب»، و«ما اتّفق لفظُه واختلفَ مَعناه في القرآن الكريم». ولم يترك المُبَرِّد، ديوان شعر متكاملًا، ولكن وردت الكثير من أشعاره في كتب الأدب والتاريخ؛ ومن شعره ما نقله أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه، أن المُبَرِّد أنشده:

أيا عَمْـرو لَمْ أَصْبِرْ ولـي فيكَ حيلَةٌ
ولكنْ دَعاني اليَـأْسُ مِنْكَ إلى الصَّبْرِ
تَصَبَّـرتُ مَغْلوبًـا وإنّـي لَموجَـعٌ
كَمـا صَبَرَ الظَّمْـآنُ في البَلَـدِ القَفْرِ

وفي كتاب «التاريخ المرصّع في سير أعلام عُمان من مذاهب الأربع»، للدكتور إبراهيم البلوسي، والدكتور هادي العوبثاني، نجد أن الكثير من الشيوخ والأعلام من صَحَم، كانوا شعراء، ومنهم الشاعر الشيخ علي بن جمعة القاسمي، من بلدة المنطيفة، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري. تنقّل القاسمي بين عدد من حواضر عُمان، للدراسة على أيدي علمائها. وكان من التجار الذين يملكون السفن، فسافر إلى اليمن وإفريقيا وفارس وبلاد الشام. وكان يستثمر أسفاره تلك في تحصيله المعرفي والاستفادة من علماء تلك البلدان؛ ومن أشعاره:

ويَظُـنُّ أنّـي قَـدْ سَـلَوْتُ ودادَهُ
مـا حَـلَّ قَلْبـي فيـهِ مِمّـا يَزْعُـمِ
ومـا مـالَ قَلْبي عَـنْ هَـواهُ وما سَلا
كَلّا ولا ذِكْـراهُ يَخْلـو مِـنْ فَمـي
يـا مُحْرِقًـا قَلْبـي بِمـاءِ صُـدودِه
ومُعَلِّمـي بِاللَّيْـلِ رؤيـا الأَنْجُـمِ

ومن شعراء صَحَم وعلمائها، كما يقول السيد حمد بن سيف البوسعيدي، في كتابه «قلائد الجُمان في أسماء بعض شعراء عُمان»: «الشيخ حامد بن محمد المُنذري، ولد في القرن الرابع عشر ببلدة مَجز الصغرى من ولاية

عَلَمُها أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر «المُبَرِّد»

صَحَم، ودرس عنده الشيخ عبدالله بن محمد المَجزي، أول دراسته، وتُوفّي الشيخ حامد بن محمد سنة 1304 هـ). ونعتقد أنه ولد وعاش في القرن الثالث عشر وليس الرابع عشر، إذ إنه تُوفّي مطلع القرن الرابع عشر، كما يذكر البوسعيدي نفسه، وأن تلميذه هو الشاعر الشيخ عبدالله المَجزي، الذي توفي عام 1361 هـ. وقد وردت في كتاب «التاريخ المرصّع»، تفاصيل موسعة لسيرة الشيخ حامد المُنذري وأشعاره؛ يقول المُنذري في إحدى قصائده:

أَهْوى الـمِلاحَ البُدورَ الغُـرَّ مُنْتَحلاً
نَيْلَ المُنى، فَهو أَحْلى لي مِنَ العَسَـلِ
وشـادِنٍ فـي قَـوامِ الغُصْـنِ مُعْتَدِلٍ
يَسْـطو عَلَـيَّ بِعَسّـالٍ مِـنَ الذُّبَـلِ
نُحولُ جِسْمي وسُـقْمي من مَعاطفه
وفي الجُفـونِ المراضِ الدُّعْجِ مُقْتَتَلي
تَهونُ روحي ونَفْسـي في هَوى رَشَـأٍ
سَـكِرْتُ مِـنْ لَحْظِه لا سَـكْرَةَ الثَّمَلِ
وهـذِهِ سُـنَّةُ العُشّـاقِ ماضِيَـةٌ
في مَنْ مَضى قَبْلَنا مِنْ سـالِفِ الأُوَلِ
هـذا شَـهيدُكُمُ قومـوا بـه كَرَمًـا
وغَسِّـلوهُ بِمـاءِ الدَّمْـعِ والمُقَـلِ

ومن أعلام صَحَم وشعرائها البارزين الشيخ عبدالله بن محمد المعيني المَجزي؛ فقيه وشاعر من مَجز الصغرى، تُوفّي عام 1361 هـ/ 1942م. جاء في الموسوعة العُمانية أنه «تتلمذ على يد حبيب بن يوسف الفارسي (ت: 1329 هـ/ 1911م)، في مدرسة مَغبّ بمسقط، ثم كان خليفته في التدريس والإفتاء. من آثاره العلمية «رسائل وفتاوى في الفقه» (مخطوطة)، ومنسوخات كثيرة بخط يده، ومجموع شعري يحوي قصائده». ويذكر كتاب «التاريخ المرصَّع» جوانب مختلفة من سيرة هذا العلم وأشعاره وآثاره العلمية. له قصيدة مشهورة تسمى الحجازية، يقول في مطلعها:

إلـى أيْنَ هَـذا الرَّكْـبُ أَمَّـتْ رَكائبُهْ
وجـادَتْ بأَصْـواتِ الحُـداةِ نَجائبُهْ
ومـا هَـذه الأَعْلامُ تُنْشَـرُ فَرْحَـةً
بأَيْـدي رجـالٍ تَقْتَفيهـا رَكائبُـهْ

ومن مقطوعات الشيخ عبدالله المعيني، وصفه لقصر والدة السلطان سعيد بن تيمور الذي قال فيه:

حَدائـقُ كَـرْمٍ أَمْ رِيـاضٌ يَوانِـعُ
ودَوْحَـةُ فَضْـلٍ أمْ حِيـاضٌ تُدافِـعُ

كثير من الشيوخ والأعلام من صَحَم كانوا شعراء

ونَجْـمُ سَـماءٍ أَمْ قَلائـدُ جَوهـرِ
عُقـودُ جُمـانٍ أَمْ حِيـاضٌ تَدافَـعُ
أيا صـاحِ إنْ كُنْتَ الخَبيـرَ فَصِفْ لَنا
فإنّي إلـى مَعْنـى الذي قُلْـتَ طامِعُ

كما يسرد كتاب «التاريخ المرصّع»، سيرة أحد بلغاء ولاية صَحَم وشعرائها، وهو الشيخ عثمان بن عبد الغفور الأنصاري، الذي ولد في بلدة مَقاعسة عام 1349 للهجرة، وتنقّل في مناطق عدّة، للدراسة على أيدي العلماء. وقد كان يكثر في شعره المدائح النبوية، منها قوله:

سَلامي علـى المُخْتارِ نورِ السَّـرائرِ
نَبـيِّ الهُـدى بَحْـرِ العُلـومِ الزَّواخِرِ
سَلامـي عَلَيْـهِ عَدَّ مـا غَيْهَـبٌ بَدا
ومـا هَـبَّ خَفّـاقُ النَّسـيمِ بِداجِـرِ
سَلامٌ على طَـهَ المُشَـرَّفِ في العُلى
وأَسْـماؤه في العَـرْشِ تَبْـدو لِناظِرِ

وفي سياق الحديث عن الشيخ عثمان الأنصاري، نعثر في الكتاب ذاته، على شاعر آخر من بلدة مَقاعسة بصَحَم، وهو تلميذه الشاعر جاسم القرطوبي، الذي رثاه بقصيدة طويلة نذكر منها:

إنّـي بِـهِ ثَمِلٌ مـا عِشْـتُ مِـنْ زَمَنٍ
ولَسْـتُ أَرْجو علـى الأَشْـعارِ أَثْمانا
سِوى رِضى اللهِ والإخْلاصِ في عَمَلي
ورَحْمَـةُ اللهِ تَكْسـو القَلْـبَ غُفْرانا

ويذكر سالم بن عبدالله آل عبد السلام، في كتابه «صَحَم ولايتي الجميلة»، عَلَما آخر من صَحَم، وهو الشيخ زهران بن سالم آل عبد السلام، من منطقة آل عبد السلام، ولكنه لم يقف على تاريخ ميلاده ووفاته، إلّا أنه يشير إلى أنه كان قاضيًا على ولاية الخابورة في عهد السلطان تركي بن سعيد، أي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وكان مولعًا بالشعر، وله الكثير من القصائد التي يتناقلها أحفاده ولكنها لم توثّق.

تلك كانت طائفة من شعراء ولاية صَحَم العُمانية، التي كانت وما تزال منبعًا للعلم والفكر، وواحة وارفة للإبداع ومنارة للإشعاع الحضاري.

الحالم

أحمد عبد الغني
مصر

قَـرَأَ الحَيـاةَ وقَـدْ تَجـاوَزَ فَهْمَهـا ... وَلَـدٌ يُفسِّـرُ لِلْحَقيقَـةِ حُلْمَهـا
يَمْشـي إلى «الكُتّابِ» طِـفْلاً حافِيًا ... مـا أرْجَحَتْـهُ الرّيـحُ حتّـى ضَمَّهـا
فـي عَيْنِـهِ مَطَـرٌ كأنَّ سَـماءَها ... امـرأةٌ بِشَـطِ النيلِ تَعْصِـرُ غَيْمَها
مُذْ جاءَ يَحْمِلُ فـي الحَقيبةِ حُزْنَهُ ... رَكَضَـتْ نُجـومُ الشِّـعْرِ تُخْبِـرُ أُمَّها
عَـنْ شـاعِرٍ قَـدْ أنْجَبَتْـهُ حياتُـهُ ... سِـرًا فَمـاتَ ولَـمْ تُشَـمِّرْ كُمَّهـا
مَـنْ أوْرَثَتْـهُ الحُـزنَ؟ كانَـتْ وَرْدَةً ... مَقْطوفَـةً تَبْكـي؛ إلـى أنْ شَـمَّها
لَـمْ يَتَّخِـذْ وَطَنًـا لَـهُ إلّا التـي ... تَرَكَتْـهُ فَـرْدًا كَـيْ تُقاسِـمَ يُتْمَهـا
أَلْقَـتْ بِـهِ حَطَبًـا لِقـاعِ خَيالِـهِ ... لِيُضِـيءَ بالمَعْنى المؤجَّـلِ عَتْمَها
مِـنْ يَوْمِهـا والنّـاسُ تَتْبَـعُ خَطْوَهُ ... لِيَصُـدَّ عنْ صَدْرِ المَسـافَةِ سَـهْمَها
واليَـوْمَ يَحْلُـمُ أنْ يَعـودَ لِذاتِـهِ ... مِـنْ لَوْحَـةٍ مـا زالَ يُكْمِـلُ رَسْـمَها
ويَعيـشُ دَوْرَ المُتْرَفيـنَ بِفَقْـرِهِ ... لِيَـرى الحَقيقَةَ وهْي تَلْبَـسُ وَهْمَها
إذْ نَبْضُـهُ الشِّـعْريُّ قـالَ: اكتبْ فَما ... للأرضِ غَيْـرُ الشِّـعْرِ يَحْمِـلُ هَمَّها
الشِّـعْرُ يَعْنـي صَرْخَـةً مَوْقوتَـةً ... لَـمْ يَسْـتَطِعْ عِنْـدَ الكِتابـةِ كَتْمَها
تَغْفـو علـى يَـدِهِ الحَيـاةُ قَصيدَةً ... ويَظَـلُّ طولَ العُمـرِ يَحْـرُسُ نَوْمَها

التباس غير مُتَوَقَّع

قصي النّبهاني
عُمان

متـى أيْنَ لا يَـدْرِي.. إذا نامَ أو صَحا ... وعِنْدَ اشْتِدادِ التِّيهِ يَقْرَأُ: «والضُّحى»
يُصَلّـي صَلاةَ المُتْعَبِيـنَ.. ويـا لَهـا ... صَلاةً بِلا مَعْنًـى يَجِـيءُ مُرَوِّحـا
غَرِيبًا عَنِ الإيقـاعِ، يَمْضِي كأنَّما.. ... مُوَشَّـحَةٌ أغْرَتْـهُ كَـيْ يَتَوشَّـحا
وفي رُوحِـهِ.. كانَتْ تَحُـطُّ حَمامةٌ، ... وتَهْـدِلُ.. حتّـى يَسْـتَعِدَّ ويُصْبِحا
إلـى ذاتِهِ العَمْياءِ -لا شَـكَّ- يَنْتَمِي ... لِذلِـكَ يَلْقى اللَّيْـلَ أنْقـى وأوْضَحا
فَتـىً.. خامَرَ الشّـكُّ المُقيمُ حَياتَهُ ... وأوْدَعَ فـي عَيْنَيْـهِ صَمْتًـا مُبَرِّحـا
وتَمْـرَحُ فِيهِ المُسْـتَحِيلاتُ.. بَيْنَما ... تَعِـزُّ عَلَيْـهِ المُمْكِنـاتُ لِيَمْرَحـا
تُشـاطِرُهُ الأحْلامُ وَهْمًـا مُؤَكَّـدًا ... ودَرْبًـا ضَبابِيًّـا.. وخَطْـوًا مُجَرَّحا
يَسِـيرُ.. ولا ذِكْـرَى تَعودُ فَيَنْتَشِـي ... ولا نَظْرَةٌ في العِشْـقِ تَكْفِيْ لِيَفْرَحا
ولَـمْ يَعْرِفِ الثّاراتِ يومًـا.. ولَمْ يَكُنْ ... سِـوَى صُورةٍ لِلقَمْحِ تَطْحَنُها الرَّحَى
أَراقَ هَـوَى أيّامِـهِ قَبْـلَ أنْ يَـرَى ... تَفاصِيلَـهُ الأحْلَـى.. فَظَـلَّ مُمَلَّحا
عَجُولاً.. ويا اللهُ، كَمْ يَطْلُبُ الرِّضى ... مِنَ النّاسِ.. لَكِنْ سُـخْطُهُمْ قَدْ تَرَجَّحا
تَمَشّـى كَثيـرًا، بَيْـنَ جُـرْحٍ مُعَتَّـقٍ ... وجُـرْحٍ جَديدٍ صـارَ يَرْجُـو تَقَرُّحا
يُعِدُّونَـهُ فـي الحَـيِّ: حَظًّـا مُمَزَّقًا ... وشُـؤمًا.. عَلَيْـهِ الآنَ أنْ يَتَزَحْزَحـا
على قَلْبِهِ سَـمَّى.. على عَجْزِهِ بَكى ... وقـالَ: سَـأَمْحُو كُلَّ حُـزْنٍ، فَما مَحا
هَشاشَـتُهُ مُـذْ كانَ طِـفْلاً مُـدَلَّلاً ... تَلَبَّسَـها، فَاعْتادَهـا، فَتَفَضَّحـا

امْتِدادُ اللّيْل

هود الأماني
ليبيا

عَلَى اللَّيلِ أَرمِي كُلَّما ضاقَ كاهِلي ... بِما فِيهِ مِنْ جَرْحَى بِما فِيهِ مِنْ قَتْلَى

وتُخْجِلُنِي جِدًّا رَحابَةُ أُفْقِهِ ... فمِقْدارَ ما أثْقَلْتُهُ نَثَرَ الفُلاَّ

أُصَعِّدُ حُزْنًا بَالِغًا لسَمائِهِ ... ودَأبُ جُرُوحِ القَلْبِ، تُبْلِي ولا تَبْلَى

إلَيَّ امتِدادُ اللَّيلِ، ما ثَمَّ ظُلْمَةٌ ... ولا نَجْمَةٌ إلاّ وكُنْتُ لَها طِفْلا

يَحِقُّ لِبَحْرٍ واسِعٍ مِثْلِ خَافِقِي ... إذا ما بَكَى أن يُسْقِطَ الدَّمْعَ للأعلَى

فَخامَةُ هَذِي الأرضِ تَمقُتُ كوْنَنا ... بَنيها فكلٌّ زادَها بُؤسُهُ ثِقلا

سَتَطْرُدُنا لكِنْ إلى أيِّ وجهةٍ ... سَنَمضِي؟ وهَلْ حَقّا بِنا وزْنُها اخْتَلاّ

سَتطْرُدُنا فَلنَحمِلِ الآنَ ما لَنا ... وما لا لَنا مِمَّا على نَسَبٍ دَلاّ

أبي اليأْسَ أمِّي الحُزنَ أنْجَبتُما فَتىً ... إلى غَيْرِ لَيلٍ تَمْتَمَ «اللّيلُ يا لَيْلَى»

وغَنّى فلَمْ تُسعِفْهُ فُتْحاتُ نايِهِ ... سِوَى أنْ يرَى في مَوتِهِ أبْكمًا حَلاّ

مَنَحْنا ولمْ نَحْفِلْ بِبَعْضٍ مِنَ الذي ... مَنَحْنا، فَيا كُثْرَ العَطايا ويا قلاّ

حُطامٌ ومُوسِيقا وقُبْلَةُ نَازِحٍ ... وضاحكةٌ في أضْلُعِي الأُمَّةُ الثَّكْلى

إلى أيِّ حُزْنٍ أنْتَمِي؟ ليْسَ عالِمًا ... بِكُلِّ الذي عانَيْتُ مَنْ خَالَنِي خِلاَّ

ولا أنا أدري، ربَّما كانَ لائِقًا ... بِعِلمٍ كهذا أن أُحِيطَ بِهِ جَهْلا

مَعْبر بحيّ القلب

موسى إبراهيمي
الجزائر

الآن أَجْلِسُ عندَ حافّةِ فِكْرَتي ... بَيْنَ التَّجاذُبِ واسْتِواءِ الماءِ

بَيْن انْبِجاسِ الكُنْهِ مِنْ شَطَطِ الأنا ... مِنْ بَيْنِ مَنْ عَبَروا على مَعْنائي

مُرّي بِحَيِّ القَلْبِ ثَمَّةَ مَعْبَرٌ ... لِلأُغْنِياتِ وسِيرَةِ الأشْياءِ

أَحْتاجُ وَجْهَكِ يا حَقيقةُ كَيْ أرى ... وَجْهِي المُضَيَّعَ في الظِّلالِ ورائي

لا تُشْبِهي شَكْلَ القَصيدةِ مَرّةً ... علِّي أُمَنّي النَّفْسَ لِلشُّعَراءِ

جُودي عَليَّ بِحَفْنَةٍ لِخُطى الظَّلامِ ... سَيَنْفُخُ الشَّكُّ العَصِيُّ ضِيائي

حَدْسُ الرِّمالِ يَقينُ مَنْ أَضْلُوا على ... المَعْنى الجَلِيِّ بسيرَةِ الصَّحْراءِ

عَطَشٌ بِوُسْعِ الماءِ.. رَيُّ عُيونِهِ ... بَعْدَ الحَنينِ وبَعْدَ فَصْلِ بُكاءِ

أُفُقٌ يُرَمِّمُ في صَدايَ شُروخَهُ ... ما عادَ كُلّي يَحْتَوي أَجْزائي

كفّاكِ دَرْبٌ لِلنُّجومِ نَؤُمُّها ... مِنْ حُبِّنا تَمْشي على اسْتِحْياءِ

أَشْتاقُ...هذا اللَّيْلَ وَجْهَ تَرَقُّبٍ ... مِثْلَ النُّجومِ وكُلُّها أسْمائي

وأنا الأخيرُ قَدِ اقْتَفَيْتُكِ مُتْعَبًا ... شَوْقًا تَرَكْتُ السّابقينَ وَرائي

أَجْتابُ هذا الضَّوْءَ أَمْشي عائلاً ... كُلٌّ يُداري حاجَةً بِردائي

إنّي أُحِبُّكِ..كَيْ نُوَزِّعَ عُمْرَنا ... قوتًا على الأَيْتامِ والفُقَراءِ

في رَفّةٍ مِنْ قَلْبِ أمٍّ بِانْتِظارِ ... وَحيدِها بالْبابِ كُلَّ مَساءِ

في خُبْزِ جارَتِنا إذا نَثَرَتْ ... فُتاتًا لِلْحَمامِ وفي سُقاةِ الماءِ

في فَرْحَةِ المَوْتِ الّتي رَقَصَتْ ... أَمامَ السِّرِّ عِنْدَ تَبَتُّلِ الأحْياءِ

يرى أن التجديد يكون على مستوى المضامين

الشاعر العراقي سعد محمد:

مبادرة بيوت الشعر تؤكد أهمية القصيدة في حياتنا العامة

خالد الحسن
العراق

لفت الشاعر سعد محمد، الأنظار شعريًا في بلده العراق، وأكد فاعليه حضوره، عبر تنظيمه لـ «مهرجان أبي تمّام» في مدينة الموصل، ومشاركته في أكثر من مهرجان شعري في العالم العربي

يتحدث سعد محمد الحاصل على جائزة «شاعر شباب العرب» إلى «القوافي» عن تجربته الشعرية وبدايات تشكلها والشكل الشعري الذي يميل إليه ويعدّه الأكثر تكاملاً، ويؤكد أن عدداً كبيراً من الشعراء الشباب في الموصل أصبحوا ينافسون بقوة في المسابقات العراقية والعربية ويحصدون مراكز متقدمة. معه كان الحوار التالي:

مهرجان الشارقة يؤكد أن للشعر عصرًا مستمرًا

وبيَّن سعد محمد، الحاصل على جائزة «شاعر شباب العرب»، بالحديث عن شعراء الموصل الشباب أن «عددًا كبيرًا من الشعراء الشباب في الموصل أصبحوا ينافسون بقوة في المسابقات العراقية والعربية ويحصدون مراكز متقدمة».

- متى مرَّ نهر الشعر في حقول مخيلتك؟

بدأ نهرُ الشعرِ بالتدفقِ في مخيلتي منذ أنْ أصابني الإيقاعُ الشعريُّ ومنحني القدرةَ على حفظِ الشعرِ وتذوقِهِ وإلقائِهِ في الفعالياتِ الأسبوعيةِ في الاصطفافِ المدرسيِّ، حينَ كنتُ أترنّمُ أمامَ أساتذتي وزملائي التلاميذ بأبياتِ المتنبّي والجواهري وغيرهما من الشعراءِ، حتى تغذّتْ ذاكرتي بالموروثِ الشعري والتراكيبِ والصورِ الشعرية، وبعدها اتقدت في خيالي

المسابقات هي الفرس الّتي تعدو بالشاعر نحو المجد والانتشار

شعلةُ الشعر، وبقي النهرُ ملازمًا لشاعريتي وقلتُ فيه الكثير حتى أسميتُ ديواني الشعري «أتخيّلهُ نهرًا»

- تخصصت في دراسة اللغة العربية؛ كيف ساعدتك دراستك الأكاديمية في كتابة الشعر؟

اللغةُ هي الإزميلُ الذي أنحتُ به المعاني وأجسّم بوساطته الجُمل كيفما شاءت تخيّلاتي، لأنَّ الشاعرَ هو الوحيد الّذي يملك المقدرة العجيبة على ترجمة تخيّلاته إلى كلام معزّز بالانزياح نحو ضروب الفنون والدهشة؛ اللغة بوصفها الصديقةَ الّتي تعرّفتُ إليها خلال دراستي الأكاديمية، الصديقة الّتي ساعدتني على تهذيب تعابيري ومنحتني فرصة الاطلاع على مساحات شاسعة من عوالمها، مثل التبحّر في النحو العربي وفنّ العروض والقافية وتحولات الشعر العربي والوقوف على الفنون البلاغية التي منحتني القدرة على إيصال أشمل المعاني بأقل عدد من الكلمات.

- بمن تأثرت في بداياتك الشعرية؟

أول بيت جذبني للشعر وأوقد في مخيلتي، هو بيت أبي الطيب الذي يقول فيه:

نَصيبُـكَ فـي حَياتِـك مِـنْ حَبيبٍ
نَصيبُـكَ فـي مَنامِـكَ مِـنْ خَيـالِ

قادني هذا البيت إلى قصيدته الشهيرة «نعدُّ المَشرفيَّةَ والعَوالي». وقادتني القصيدة إلى السهر لعدة ليالٍ متتالية مع ديوان المتنبّي الذي أسرني ومنحني طاقة شعرية مكّنتني من القدرة على التخيّل، فبقيت مدة طويلة في عصره وقرأت أبا تمّام والبُحتري، وأبا نواس، وبشّار.. ثم سافرت عبر الزمن في عوالم الشعر العربي في رحلة بدأت من ديار امرئ القيس، ولم تنته حتى عصرنا الحالي.

- بين جهات الأشكال الشعرية إلى أي شكلٍ تميل؟

الأشكال الشعرية العربية متنوعة وغنية، وكل شكل له مميزاته، لكنّني أميل إلى كتابة الشعر العمودي بشكل أكبر، وذلك يعود على شخصيتي التي تكوّنت بالاطلاع على الموروث الشعري وهضمه، وإيماني الشخصي بأن التجديد في الشعر يكون على مستوى المضامين الشعرية التي لاتنضب، وأن القصيدة العمودية فن سرمدي يستطيع العيش حتى نهاية الزمان؛ وهذا لايعني أنّني ألغي باقي الأشكال الشعرية فهي أشكال فنية غنية برز من خلالها عدد كبير من الشعراء المبدعين، لكن لكل شاعر تكوينه الذي يجعله

العرب يقفون على هرم الأدب العالمي حاملين لواء الشعر

مؤمنًا بالشكل الكتابي والمشغل الذي ينتمي إليه.

- ديوانك «أتخيّله نهرًا» لقي أصداء إيجابية واسعة؛ كيف ترى تجربة النشر في عصر الذكاء الاصطناعي، ومواقع التواصل؟

ديواني الذي حمل عنوان «أتخيّله نهرًا»، لم أنشره إلّا بعد تسويق نفسي شاعرًا، عن طريق المشاركة في جميع مهرجانات العراق، مثل «المربد» و«الجواهري» و«أبي تمّام»، وغيرها التي تمنح الشاعر فرصة الظهور أمام وسائل الإعلام. فضلًا عن تسويق نفسي عن طريق الفوز بالمسابقات الشعرية والنشر على مواقع التواصل، والظهور في لقاءات مرئية على شاشات الفضائيات، لأن الشاعر في عصرنا الحالي يحتاج إلى أن يبذل جهدًا كبيرًا لتسويق نفسه، كي تلاقي مؤلفاته انتشارًا واسعا؛ وهذا ماحدث مع ديواني الذي نفدت أكثر من نصف نسخه يوم توقيعه سنة 2019.

- تجربة النزوح والسفر الى خارج العراق؛ ماذا اخذت منك؟ وماذا أعطتك؟

الانتماء للأرض شعور عجيب يعكس مشاعر تُعنى بالهُويّة والتراث والاستقرار والارتباط العاطفي، وكل هذه المفاهيم كانت ترافقني سنة 2014، عندما تعرضت لأقسى تجربة إنسانية، بعد أن نزحت قسرًا من مدينتي الموصل، وهاجرت خارج العراق لثلاث سنوات؛ وأنا أراهن كل صباح على عودتي إلى مدينتي، ويخفق رهائي مع كل ليلة، لأروض نفسي بكتابة الشعر، بوصفه المتنفّس الوحيد الذي يصطحبني إلى ضفاف الأمل الذي تحقق سنة 2017.

- ما تأثير الموصل في قصيدتك؟

تمثل الموصل العمق التأريخي والثقافي للعراق، بوصفها العلامة الثقافية الفارقة في التأريخ. هذه المدينة التي تنجب الشعراء بشكل منقطع النظير، وذلك يعود إلى بيئتها التي تُعنى بالشعر وفنونه، حتى تكاد أن تكون عاصمة للشعر العراقي، لذلك وجدت نفسي محاطًا بجوّ شعري خصب حاضن للشعراء بمجتمعها الذي تتذوّق الشعر فيه العامة قبل الخاصة.. ويمكن ملاحظة هذا الأمر بوضوح عندما نرى توافد الأسر لحضور فعاليات الشعر ومناقشة قضاياه؛ فضلًا عن طبيعتها الخلّابة فهي تقع على ضفتي نهر دجلة، تتوسّطها غابات الموصل الشهيرة التي تخلق شاعرية متفردة.. كل هذه العوامل تمنح الشاعر طاقة شعرية ودوافع للاستمرارية.

نشأت تجربتي الشعرية في ظلال المتنبّي والجواهري

- هل جرّبتَ الكتابة الإبداعية في حقول أخرى، أم اكتفيت بكتابة الشعر؟

أكتب الشعر لأنني لا أستطيع التوقف عن كتابته، بوصفه المتنفّس الذي يمنحني القدرة على ترجمة انفعالاتي وطرح رؤيتي الخاصة للمجتمع، وتجسيد تجربتي الشخصية بنتاج أدبي أسهم عبره بتحويل النصّ الكتابي إلى سلوك إنساني يمكن أن يشكّل ثقافة جمعية، مع منح المتلقي متعة القراءة. أما بالنسبة للفنون الكتابية الأخرى، فأنا أكتب الرواية إلى جانب الشعر.. وقريبًا ستصدر روايتي الأولى.

- كيف ترى المشهد الشعري العراقي والعربي بشكل عام؟

الشعر ديوان العرب، لذلك نرى العرب يقفون على هرم الأدب العالمي حاملين لواء الشعر، رغم التحولات الاجتماعية والسياسية التي تمرّ بهم؛ في العراق نجد المشهد الشعري مكتظًا بالشعراء، ولا يكاد يمرّ حدث ثقافي

حتى نجد وجوهًا شعرية جديدة تنطلق كالسهم، وتحفر اسمها بقوة في المشهد الشعري العراقي. أما في المشهد العربي فنجد تجاربَ قوية تظهر باستمرار، وهي تتوافد من كل مكان نحو الأوساط الثقافية؛ الشعر بوصفه تجربة ذاتية يشعّ من الجميع ولا يحتاج سوى إلى الاهتمام والحفاظ على ديمومته، عن طريق المؤسسات الثقافية التي تُعنى بالأدب وفنونه.

- فزت بعدد من المسابقات الشعرية، وكنت عضوًا في لجان تحكيم لمسابقات أخرى؛ كيف استطاعت المسابقات الشعرية خدمةَ الشعر العربي؟

المسابقات هي الفرس الّتي تعدو بالشاعر نحو المجد والانتشار، وتثب به نحو الاستمرارية؛ وللمسابقات أفضلية على سائر الأنشطة الأخرى، لأن المسابقات تكون متاحة لجميع الشعراء، من دون تمييز ومن دون وساطة، وتستهدف جميع الفئات التي ترغب في الظهور. كما أنها تزرع الرغبة في نفس الشاعر للاستمرار بالكتابة وتقديم الجديد، وكأنها تمنحه إكسيرًا إبداعيًا متجددًا، ولو نأخذ نظرة على شعراء الوسط الأدبي، فسنجد عددًا كبيرًا منهم فرضوا أنفسهم عن طريق فوزهم بالجوائز الأدبية.

- بالحديث عن الجوائز.. كيف تنظر إلى تأثير جائزة القوافي التي أطلقها صاحب السموّ حاكم الشارقة في الوسط الثقافي العربي؟

أن تكون هناك جائزة شعرية شهرية تُقدم لقصيدة في كل عدد من أعداد مجلة «القوافي»، فهذا أمر يستحقّ الكثير من الثناء والتكريم، خاصة أن القصيدة الفائزة منشورة في المجلة. إن جائزة القوافي عبّرتْ عن ذاتها، بفوز كثير من الشعراء المهمّين في الوسط الأدبي العربي، وأصبحت طموحًا لكثُر يحاولون الوقوف على أرض الشعر.

- كيف ترى مبادرة تأسيس بيوت للشعر في العالم العربي؟

ليست غريبة مثل هذه المبادرات على الشارقة وحاكمها المثقف الذي بذل جلَّ عمره في خدمة الشعر واللغة والعربية والثقافة. لا شك في أن أغلب المدن العربية بدأت التكنولوجيا والهواتف المحمولة تأخذ من جرف حياتها الأصيلة، حتى جاءت بيوت الشعر، لتعيد للمدن حيويتها، وتذكّر أهلها بأهمية الشعر في الحياة العامة.

- شاركت في مهرجانات كثيرة داخل العراق وخارجه، وتتابع «مهرجان الشارقة للشعر العربي» كل عام؛ كيف ترى هذه الفعالية الثقافية الكبيرة؟

أجد أن «مهرجان الشارقة للشعر العربي» من أهم المهرجانات العربية؛ فهو فضلًا عن استضافته عددًا كبيرًا من الشعراء والنقّاد، يهتم بجودة المحتوى المقدم، فلا تكاد تسمع قصيدة واحدة ضعيفة فيه، أو دراسة نقدية عبثية وخالية من الجدة. إن كل ما يقدم في المهرجان يمثل سقفًا عاليًا للشعر والنقد، ناهيك بالجوانب اللوجستية والإدارية التي تكون على أعلى مستوى، ومهرجان كهذا يعيد للشعر هيبته وأصالته بين الفنون الأخرى.

أخشى عليك

سعد محمد - العراق

أخشــى عليــكَ الآن أن تتغيّــرا
ياقلــبُ لــم تعــدِ الحيــاةُ كمــا تــرى

تمضــي وترجــعُ بعــدَ كلِّ حبيبــةٍ
رجلًا رمــاديَّ الملامــحِ مُضمــرا

مازلــتَ فــي ســوقِ الحنيــنِ مغيّبًــا
كــي تشــتري لليــلِ مــالا يُشــترى

كــم منــزلٍ فــي الأرضِ حولَــكَ يافتــى
فــعلامَ تســتهوي الرجــوعَ إلــى الــورى

وإلامَ تخنقُــكَ الصبابــةُ طالمــا
أنَّ الصبابــةَ لاتُحيــطُ بمــا جــرى

أخشــى عليــكَ.. علــى انتظــاركَ صدفةً
قــد لاتجــيءُ لكــي تكــونَ مؤثــرا

يــا قلــبُ : أســبابُ الغنــاءِ كثيــرةٌ
فانصــت علــى قلــقٍ لتبــدو أشــعرا

أنــا واقــفٌ خلــفَ الهشاشــةِ مثقــلٌ
بالعاديــاتِ علــى الربيــعِ لأزهــرا

بينــي وبيــنَ الصحــوِ خيــطٌ.. علّنــي
أصطــادُ حلمًــا كــي أعــودَ مفسَّــرا

أنــا محــضُ أحلامٍ وكــم هــيَ غربــةٌ
أنْ يُفتــرى فــي الحلــمِ مــالا يُفتــرى

بدائع البلاغة

د. وئام المسالمة

الطِّباق هو سِحرُ التَّضاد الذي تزيَّنت به اللُّغة العربيَّة، إذ أضفى عليها رونقًا خاصًّا. فهو يجمع بين الكلمات المتقابلة في معانيها، لِيُبْرِزَ المعنى ويُقوِّيه، ولِيَتْرُكَ أثرًا بالغًا في نَفْسِ المُتلقي، ولهذا يُعدُّ الطِّباق من أهمّ الأساليب التي تستخدم لتوضيح المعنى، وزيادة جماله، وإيصال الفكرة إلى الأذهان بأقوى صورة ممكنة، وهذا يدفعُ المتلقي إلى التأمل والتَّدبُّرِ بجماليات التَّضاد.

وتكمنُ أهميَّة استخدام الطِّباق في الشِّعر بِكونه يُسلِّط الضوء على التَّناقضات، وهذا يُضفِي على النصَّ جماليَّةً خاصَّة، لأنَّه يُعزِّزُ قُوَّة الصُّورة الشِّعريَّة من خلال إبراز الأضداد، لذلك يُعدُّ من أبرز الأساليب البلاغيَّة في اللُّغة العربيَّة، لأنَّه يعمل على الجمع بين معنيين متضادين، فيسهمُ هذا في إظهار الفكرة، ويجعلها أكثر جاذبيَّةً للقارئ. فالطباق يخلق نوعًا من الانسجام بين الكلمات والجمل، ويجعل النصَّ أكثر ترابطًا.

ومنه قول الشَّاعر العباسيّ دوقلة المنبجي:

فالوجهُ مِثلُ الصُّبحِ مُبْيَضٌّ
والشَّعرُ مثلُ اللَّيلِ مُسْوَدُّ
ضِدّانِ لمّا استُجمِعَا حَسُنَا
والضّدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

ويتجلَّى الطِّباق هنا بين كلمتي «الصُّبحِ» و«اللَّيلِ» يقابلهما «مُبْيَضٌّ» و«مُسْوَدٌّ» ونجد أن هذا الجمع بين الأضداد يُسْبِغُ على المعنى رونقًا وبهاءً ويُعطيه عُمقًا وتأثيرًا كبيرًا في الأَسْماع، ويجعلُ لكلّ واحدٍ منهما حُسنًا لن يكون لهما في حال انفردا.

وللطباق قوَّة تعبيريَّة كبيرة، إذ يُضفي على الشِّعر جمالًا بلاغيًّا، ويثيرُ في النَّفس مشاعر مختلفة كالحزن والفرح، والخوف والأمل، وهذا يزيدُ من تأثير الشِّعر في المتلقي.

وقد استخدم شعراء العصر الجاهلي هذا الأسلوب بمهارة لإبراز التناقضات الحياتيَّة والاجتماعيَّة، وتجلَّت أهميَّة الطِّباق من خلال عدَّة جوانب فقد استخدمه الشُّعراء للتَّعبير عن مشاعرهم المتناقضة كالفخر والذُلّ، وتسليط الضَّوء على التَّحديات، إذ عكست الأضداد في الشِّعر الجاهليّ التحديَّات التي واجهت المجتمع، مثل الحروب وظاهرة الافتخار والهجاء.

ويعدُّ امرؤ القيس من أبرز الشُّعراء الجاهليين الذين استخدموا الطِّباق في شعرهم ويمكننا رصد الطِّباق في العديد من الأبيات الشِّعريَّة التي نظمها، كقوله:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

ويتجلَّى الطِّباق هنا بين كلمتيّ (جَنُوبٍ) و (شَمْأَلِ) التَّي تعكس أثرَ الحُب الرَّاسخ في قلب الشَّاعر الذي وقف على أطلال الأحبَّةِ باكيًا وماتزال الذكرى تراوده، ولم ينمحِ أثرُ حُبِّهَا مِنْ قلبه حتَّى وإنْ نسجتْهَا الرِّيحانِ، فريحُ الشّمال تغطي آثار الدِّيار بالتُّراب وريحُ الجنوب تزيلهُ عنها فلا يذهب الأثر.

وقوله:

أَلا أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ أَلا انْجَلِي
بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
بِكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بِيَذْبُلِ

نجد الطِّباق هنا بجمع الشاعر بين «اللَّيل» و«الصَّباح» في تضادٍّ يُوضّحُ معاناته مع طول اللَّيل وانتظاره للصَّباح، ويتعجَّب من استطالة الليل وكأنَّ نُجومه قد رُبِطتْ بجبلِ يَذْبُلْ بِحبالٍ مُحكَمَةِ الفَتْلِ، وكأنَّها ثابتة لا تتحرك فيمتدُّ الليل طُولًا لتطُولَ معه معاناته.

وقوله:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعًا
كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

يصِفُ اِمرئ القيس حصانه في هذا البيت وصفًا بليغًا تمتزجُ فيه المعاني المتضادّة مجتمعة، لتدلَّ على قوَّته وقدرته العجيبة على الفَرِّ والكَرِّ في القتال أي الهجوم والتَّراجع فهو كثيرُ الفرِّ ليعاود الهجوم على خصومه بطريقة أقوى وأشدّ، فتراهُ سريع الجري، شديد الإقبال والإدبار معًا.

ويتبيَّنُ لنا أنَّ استخدام الطِّباق في شعر اِمرئ القيس يضيفُ عُمقًا جميلًا إلى معانيه، ويُعزِّزُ من تصوير مشاعر الشَّاعر وحالاتِه النَّفسية.

ويقول عنترة بن شدَّاد:

تُمسي وَتُصبِحُ فَوقَ ظَهرِ حَشِيَّةٍ
وَ أَبيتُ فَوقَ سَراةِ أَدهَمَ مُلجَمِ

يُظْهِر التَّضاد في الشطر الأول من البيت التَّحدياتَ النفسيَّة التي تواجهَ الشاعر حيث تُمسي محبوبته عبلة وتصبح منعمةً على فُرُشِ الصُّوف الناعمة، بينما يبيتُ هو فوق ظهر فَرَسٍ أسود مُلجَّم، يُقاسي الأهوال والشدائد من جراء الحروب المتواصلة.

وقول الشاعر أبو تمَّام:

السَّيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيْضُ الصَّفائِحِ لا سُوْدُ الصَّحائفِ في
مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

ورد الطِّباق بين كلمتيّ «الجِدّ» و«اللَّعِب» وبين «بِيْضُ» و «سُوْدُ» إذ يُوَضِّحُ الفرق بين الأمر الجادّ ونقيضه، ليُقطعَ الشَّكُ باليقين، وترفعَ راياتُ النَّصر البيضاء. وبهذا نجد أنَّ الطباق يعكِسُ عُمق الفِكر وثَراء التَّجربة الإنسانيَّة، إذ استطاع الشُّعراء من خلاله التَّعبير عن مشاعرهم وتصوراتهم بطريقة مؤثرة وجميلة، وهو جزء لا يتجزَّأ من التراث الأدبي العربي، الذي يعكِسُ براعة الشُّعراء في استخدام اللُّغة لإيصال أفكارهم ومعانيهم.

أبياتٌ غَدَتْ أمثالًا:

لَقَدْ أَسْمَعتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا
ولَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
وَلَوْ نَارٌ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ
ولَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ في رَمادِ

تُسْتَخْدَمُ هذه الأبيات الشِّعريَة بوصفها أمثالًا عربيَّة شائعة للدلالة على عدم اكتراث الشخص المعنيّ بالأمر، وأنَّه لا فائدة تُرجى ولا أمل يُنتظَر من نُصحهِ وإرشاده. وهي من قصيدةٍ للشَّاعر عمرو بن معدِ يَكْرِب الزُّبيدي فقد عبَّر نَظْمهُ لهذه الأبيات عن مدى يأسِهِ من قومه. وتعدُّ هذه الأبيات من

رؤوس الحكمةِ في الشِّعر العربيّ، لذا فقد جرى مجرى المثل الذي بات يستشهِدُ به النَّاس بعد جدالهم مع أشخاص يجعلونك تشعر أنَّ النقاشَ معهم عقيمٌ ولا رجاء منه، وهذا يعكِسُ حالة من الإحباط عن عدم جدوى الكلام مع من لا يسمعُ أو لا يهتمّ.

ويمكن استخدام هذا المثل في المواقف اليوميَّة عندما يشعر شخص ما بأنَّ جهوده في الحديث أو النقاش تذهب سُدى.

دُعابات الشُّعراء:

من نوادر «أبي دُلامة»

دخل أبو دُلامة على المنصور وأنشده:

إِنّي رأيتُكَ في المَنام وأنتَ تُعطِينِي خِيَارَه
مَمْلُوءَةً بِدرَاهمٍ وعليكَ تأويلُ العِبارَة

فقال له المنصور:

اِمضِ فأتني بخيارةٍ أملؤها لك دراهم ودنانير، فذهب أبو دلامة إلى السوق وأحضر أكبر قرعة توجد هناك، فلمَّا رآه المنصور مقبلًا، قال له ماهذا؟ قال: يلزمني الطلاق من زوجاتي الأربع إن كنتُ رأيتُ القَرعة، ولكني نسيت، فلمَّا رأيتُها في السوق ذكرتها.

وفي مرة أخرى دخل على الخليفة المنصور فأنشده:

رأيتُكَ في المنامِ كَسَوْتَ جِلْدي
ثِيابًا جَمَّةً وقَضَيْتَ دَيْنِي
فكانَ بَنَفْسَجِيُّ الخَزِّ فِيْها
وساجٍ ناعمٍ فأتمَّ زَيْنِي
فَصَدِّقْ يَا فَدَتْكَ النَّفْسُ رُؤْيَا
رَأَتْها في المَنامِ كَذَاكَ عَيْنِي

فأمر المنصور له بذلك، وقال له لا تَعُدْ أَنْ تَحْلُمَ عَليَّ ثانيةً، فأَجعلَ حُلمكَ أضْغاثًا ولا أُحَقِّقَه.

ما وصلنا منه «غَيْضٌ من فَيْض»

الشعر الجاهلي..

بين الرواية والتدوين

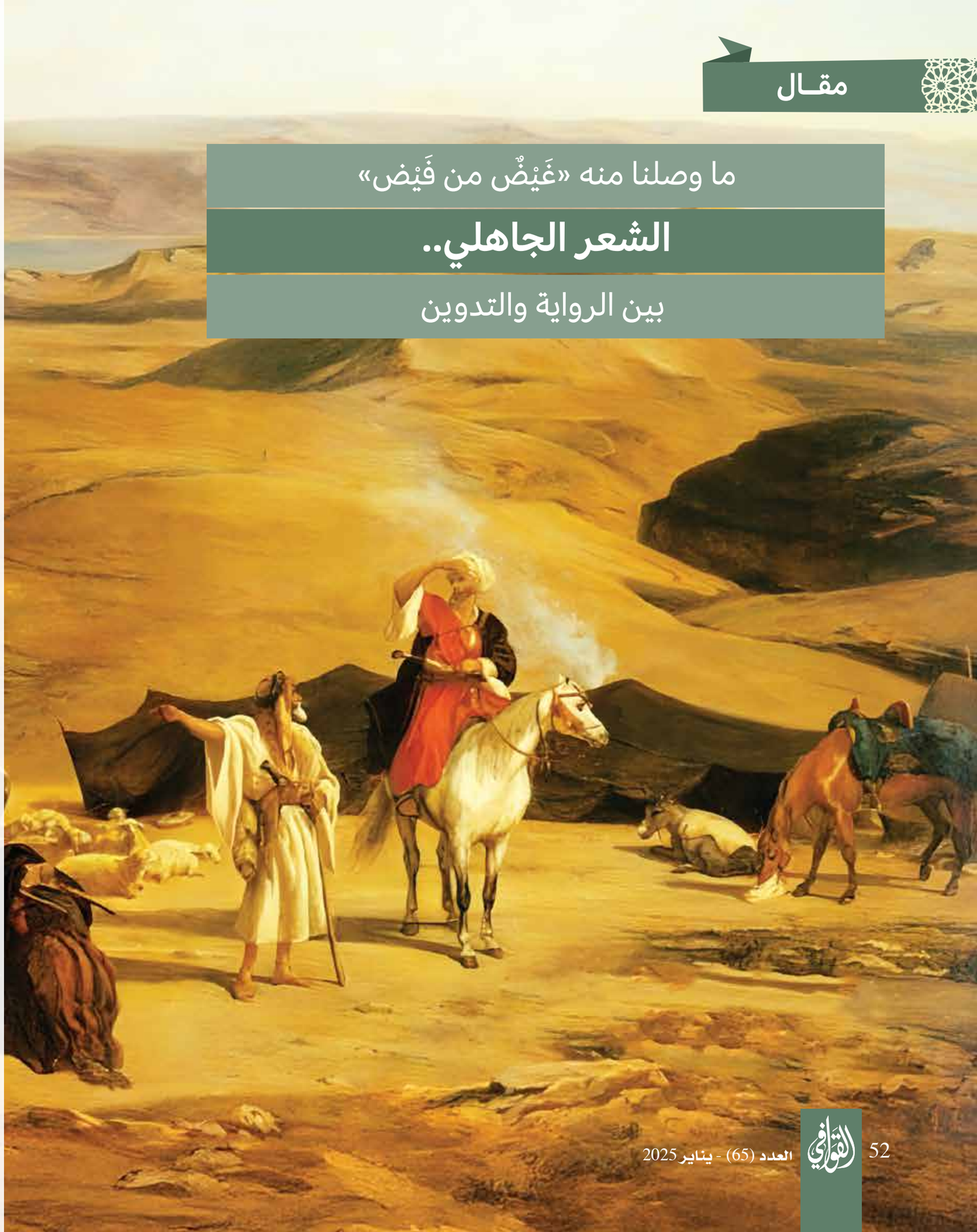

د. محمد عيسى الحوراني
الأردن

بـدءًا علينـا أن نتفـق على أن تسـمية العصر الـذي سـبق الإسلام «العصـر الجاهلـي»، تسـمية إسلاميـة، ولم يقصـد بهـا المفهـوم الشـائع للجهـل الـذي هـو ضـد العلـم، وإنما قصد بهـا الجهـل بالدين كمـا رأى بعـض الباحثين. وقصـد بهـا السـفه والطيـش والعصبية، كمـا يرى آخـرون؛ وفي كل الأحـوال، فإننا لا نسـتطيع أن ننكر علـى العرب قبـل الإسلام معرفتهم بكثير مـن العلوم، كمـا لا نسـتطيع أن ننكـر عليهـم معرفتهـم للقراءة والكتابـة.

الرواية الشفهية كانت الوسيلة الأساسية لحفظ الشعر

فقد أثبتت الدراسات وجود عدد كبير من الذين مارسوا الكتابة في العصر الجاهلي، فضلًا عن النقوش المكتشفة، والآيات القرآنية التي دلّت على وجود القراءة والكتابة، وكتابة المعاهدات الموثّقة، ورسائل الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - إلى الملوك، لدعوتهم للإسلام، وكتبة الوحي، وغير ذلك، مما لم يقدر له أن يكون لو كان العرب في الجاهلية يفتقرون إلى الكتابة؛ فضلًا عن أن ما ورد في الشعر الجاهلي ذاته من الإشارة إلى الكتابة، كما هي الحال في قول بشر بن أبي خازم الشاعر الجاهلي:

وَجَدْنـا فـي كِتـابِ بَنـي تَميـم
أَحـقَّ الخَيْـلِ بالرَّكْـضِ المُعـارِ

ويقول الحارث بن حلّزة في معلقته:

واذْكُـروا حِلْـفَ ذي المَجـازِ ومـا
قَـدّمَ فيـه العُهـودُ والكـفلاءُ
حَـذَرَ الجـورِ والتّعـدي وهَـلْ
يَنْقـضُ مـا فـي المَهـارقِ الأهـواءُ

كان الرواة يحفظون القصائد وينقلونها إلى الأجيال التالية

و«المَهارق» المذكورة هي قطع من القماش الذي كان يكتب عليه.

وكذلك ما ورد لدى المرقّش الأكبر:

الـدّارُ وَحْـشٌ والرُّسـومُ كَمـا
رَقّـش فـي ظَهْـرِ الأَديـمِ قَلَـمْ

وقول امرئ القيس:

لِمَـنْ طَلَـلٌ أبْصَرْتُـهُ فَشـجاني
كَخَـطِّ الزَّبورفي العَسـيبِ اليَماني

وكثير من مثل هذه الأبيات التي تذكر أدوات الكتابة التي كانت معروفة لديهم، ما يؤكد أن الكتابة كانت معروفة، وأن التدوين كان قائمًا لا على سبيل التوسّع، وإنما في حدود قليلة؛ إذ إن الأمية كانت ذات شيوع كبير.

أهمية الشعر الجاهلي

كان الشعر الجاهلي أحد أهم جوانب التراث الأدبي العربي، فهو يشكل إطلالة على الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للعرب قبل الإسلام، إذ يعكس تجاربهم ومعاناتهم وآمالهم وأفراحهم وأيامهم، وهو أهم منجز حضاري وإنساني في ذلك العصر؛ لكن المشكلة تتمثل في قضية الرواية والتدوين. وكيف انتقل الشعر الجاهلي من مرحلة الرواية الشفهية إلى مرحلة التدوين المكتوب؟ وما التأثيرات التي تركتها هذه العملية على نصوص الشعر الجاهلي؟

علمًا أن مرحلة التدوين الكلي لهذا الشعر، تأخرت إلى أوائل العصر العباسي، الذي يعدّ بحق عصر التدوين والتأليف والتصنيف عند العرب.

الرواية الشفهية.. الوسيلة الأساسية لحفظ الشعر

في العصر الجاهلي، كان الشعر وسيلة التعبير الأبرز في المجتمع العربي. وكان الشعراء ينظمون الشعر ويلقونه في المحافل والمناسبات، وكانت القبائل تحتفل بشعرائها وتعلي شأنهم. وكان هذا الشعر ينتقل من جيل إلى جيل عبر الرواية الشفهية. وكان الرواة يحفظون القصائد وينقلونها إلى الأجيال التالية، وهو ما ساعد على بقاء كثير من القصائد الشهيرة حيّة،

بعض الشعراء ممن لا يتقنون الكتابة كانوا يستعينون بالكتبة

حتى وقتنا الحاضر، على أننا على يقين أن كثيرًا من القصائد كُتبت ودُوّنت في العصر الجاهلي ذاته، ومنها المعلّقات. وكما أسلفنا كانت هناك إشارات إلى وجود الكتابة والكتبة، ومن ذلك ما ورد عن عمرو بن كلثوم الذي سمع أن النّعمان بن المنذر يتوعده، فدعا كاتبًا من العرب، فكتب إليه:

ألا أَبْلِـغِ النُّعْمـانَ عَنّـي رسـالَةً
فَمَدْحُـكَ حَوْلـيٌّ وذَمُّـكَ قـارِحُ

وربّما يعني ذلك أن بعض الشعراء ممن لا يتقنون الكتابة، كانوا يستعينون بالكتبة. بيد أن هناك اتفاقًا على أن مجموعة من شعراء الجاهلية كانوا يتقنون الكتابة، كما هي الحال عند المرقّش الأكبر، وزهير، والنابغة، والزبرقان، وغيرهم، انظر إلى لَقيط بن يَعمر الإيادي، وهو الذي أرسل إلى قومه ينذرهم بعزم كسرى على قتالهم، وصحيفته في ذلك مشهورة، ابتدأها بقوله:

سَلامٌ فـي الصَّحيفَـةِ مِـنْ لَقيـط
إلَـى مَـنْ بالجَزيـرَةِ مِـنْ إيـادِ

لكن الرواية الشفهية كانت تعدّ الوسيلة الأساسية لحفظ هذا الشعر ونقله، وهو ما شكل خطر التحريف أو النسيان، حيث قد يضيف الراوي أو يحذف أبياتًا أو كلمات، وفقًا لذاكرته أو لأسباب فنية أو اجتماعية أو قبلية. كما أن كل قبيلة كان لديها شعراؤها ورواتها، ما أدى إلى تعدد الروايات للقصيدة نفسها في بعض الأحيان. وكل ذلك أدى إلى ظهور عدد من القضايا المصاحبة للتدوين في العصر العباسي، مثل الانتحال والوضع، والسرقات والتسريق، وهي قضايا اشتعلت في ذلك العصر واستمر أوارها إلى عصرنا الحديث.

بدايات التدوين

لا نشكّ في أن الكتابة عرفت في العصر الجاهلي، ولا نشكّ أن بعض القبائل كانت تدوّن شعر شعرائها، ولا سيما إذا اتفقنا مع ابن جني في رأيه الذي يقول «ليس جميع الشعر القديم مرتجلًا، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلوّم على رياضته، وإحكام صنعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين؛ ألا ترى إلى ما يُروى عن زُهير، من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى «حَوْلِيّات زُهير»، لأنه كان يحوك القصيدة في سنة». واقتضاء سنة كاملة في معالجة قصيدة غالبًا ما يقتضي أن تكون مكتوبة. وثمة تأكيد لانتشار الكتابة، مما قاله أبو ذؤيب الهذلي في ذلك:

الرواية الشفهية كانت الوسيلة الأساسية لحفظ الشعر

عَرَفْتُ الدّيارَ كَرَقْمِ الدّواةِ
يَزْبُرها الكاتِبُ الحِمْيَريُّ
بِرَقمٍ وَوَشيٍ كَما زُخرِفَت
بِميشَمِها المُزدَهاةُ الهَدِيُّ
أَدانَ وأَنبَأَهُ الأَوَّلونَ
أَنَّ المُدانَ المَلِيُّ الوَفِيُّ
فَيَنظُرُ في صُحُفٍ كَالرِياطِ
فيهِنَّ إرثُ كِتابٍ مَحِيُّ

ومع ذلك فإننا ندرك أن انتشار الكتابة على وجه الشّيوع كان مع ظهور الإسلام، وما ترتب عليه من انتشار الكتابة، فقد بدأ العلماء في تدوين الشعر الجاهلي، كونه جزءًا من حفظ التراث العربي، حيث جُمعت القصائد وصُنّفت ودُوّنت في دواوين ومخطوطات. ومع نهايات العصر الأموي وبدايات العصر العباسي بدأت مرحلة الجمع والتدوين والتصنيف، ومن أبرز من أدوا بجهود التدوين الأوائل : أبو عمرو بن العلاء، والأصمعيّ، وأبو زيد الأنصاري، وظهرت لدينا مجاميع شعرية مهمة مثل «المفضّليات» و«الأصمعيات» و«الجمهرة»، وغيرها مما يعدّ إلى الآن أهم مصادر الشعر الجاهلي.

وعلى الرغم من أن عملية التدوين كانت تسعى إلى حماية الشعر الجاهلي من الضياع والتحريف الذي قد يحدث عبر الرواية الشفهية، فإننا فقدنا بعض القصائد كليًا أو جزئيًا نتيجة عدم تدوينها أو فقدان المخطوطات، بل إن بعضهم يرون أن ما وصلنا من الشعر الجاهلي غَيْضٌ من فَيْض.

الرواية والتدوين:

إن الانتقال من الرواية الشفهية إلى التدوين المكتوب لم يكن عملية سلسة أو سهلة، بل كانت معقدة تأثرت بكثير من العوامل الثقافية والاجتماعية والدينية ولم يكن التدوين محايدًا تمامًا؛ فقد تأثر بالعوامل الثقافية والسياسية السائدة في وقت التدوين؛ فقد يكون بعض الرواة قد حذفوا أو أضافوا بعض الأبيات، بما يتماشى مع القيم الإسلامية أو الحسابات السياسية والاجتماعية، والعصبيات القبلية في ذلك الوقت. كما أن عملية التدوين أدت إلى تصنيف الشعراء والقصائد، وفقًا لمعايير جديدة تختلف عن تلك التي كانت موجودة في العصر الجاهلي.

فضلًا عن ذلك، فإن تعدد الروايات الشفهية للقصيدة نفسها، أدى إلى ظهور نسخ مختلفة منها عند التدوين. ما دفع بعض العلماء إلى محاولة التوفيق بين هذه النسخ، بينما فضل آخرون اختيار نسخة معيّنة، بناءً على معاييرهم الخاصة. وهذا يعني أن بعض القصائد التي وصلت إلينا اليوم، قد تكون خليطًا من روايات متعددة أو نسخة واحدة مختارة من بين عدة، وقد بذل المحققون في العصر الحديث جهودًا عظيمة للتوفيق بين الروايات..

الشعر الجاهلي يمثّل جزءًا أساسيًّا من التراث العربي

دور النقد الأدبي في إزالة إشكالات الروايات

بذل كثير من النقاد والمحققين في العصر الحديث جهودًا كبيرة لتنقية المخطوطات من بعض ما شابها من تلف أو تحرف أو تصحيف..

وفي هذا السياق، يُطرح السؤال عن مدى إمكانية استعادة النصّ الجاهلي بصيغته الأصلية؟ وهل يمكننا حقًّا التمييز بين ما هو أصيل وما أُضيف أو حُذف لاحقًا؟ وما الأدوات التي يمكن استخدامها لتحقيق ذلك؟

وقد استخدم الباحثون والنقاد والمحققون مناهج متعددة، منها تحليل الأسلوب اللغوي، والاعتماد على الشعراء والرواة الموثوقين، ومقارنة النسخ المختلفة للقصائد، للوصول إلى أقرب صورة ممكنة للنصّ الأصلي

العلاقة بين الشعر الجاهلي والهُويّة العربية

الشعر الجاهلي يمثل جزءًا أساسيًا من التراث العربي، ومن الذاكرة الجمعية للأمة. ويعكس القيم والمعتقدات والأساطير التي شكلت الهُويّة العربية قبل الإسلام، ويقدم لنا صورة عن المجتمع العربي في تلك الحقبة الزمنية.

وإن صحت رواية أن المعلقات كانت تكتب بماء الذهب، وتعلّق على أستار الكعبة، وأراها راجحة، فإنها تعدّ أكبر دليل على شيوع الكتابة في العصر الجاهلي، وعلى الأهمية الكبرى للشعر في حياتهم، وعلى أهمية تك القصائد التي أجمع على جودتها السابقون والمتأخرون.

ومن هنا، تأتي أهمية الحفاظ على الشعر الجاهلي وفهمه بعمق. ليس لأنه يمثل جزءا من التراث الأدبي فقط، بل لأنه يعكس جذور الهُويّة العربية، أيضًا، ويُظهر كيف كانت تُفهم الحياة والوجود قبل ظهور الإسلام

وأخيرًا فإن الشعر الجاهلي يشكل جزءا حيويًا من التراث الأدبي والثقافي العربي، ورغم التحديات التي واجهت عملية نقله من الرواية الشفهية إلى التدوين المكتوب، فإنه استمر بوصفه أحد أركان الهُويّة العربية. وما زال العرب يتغنون به حتى الآن، وهذه دعوة للإفادة من التكنولوجيا الحديثة في الحفاظ على هذا الشعر، وأرشفة مسيرته، عبر أجيال وأنماط متعددة من الحياة العربية.

كان من أعظم شعراء عصره

مَنْجَك باشا اليوسُفي..

شاعر الفخر والحنين والألم

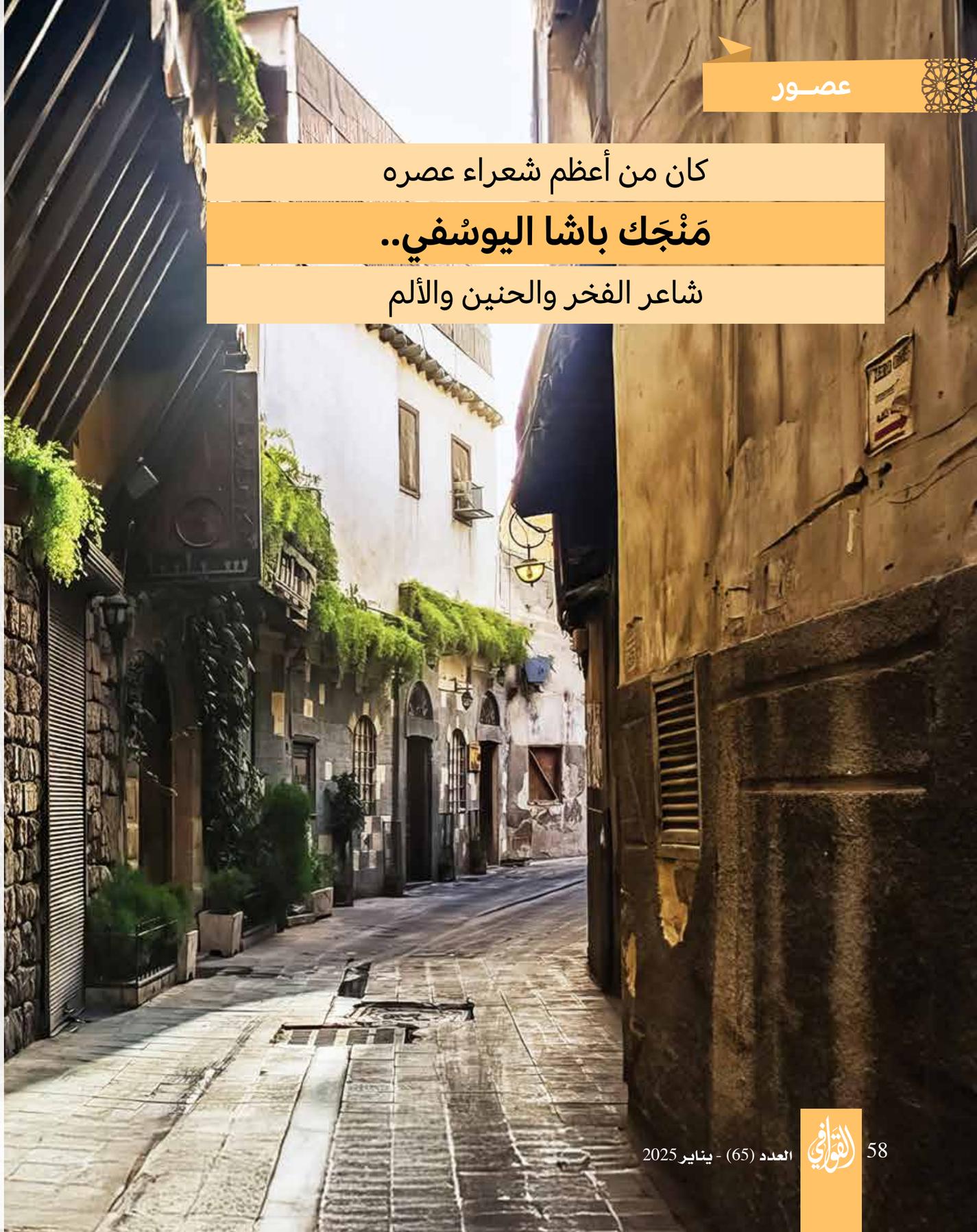

د. محمد طه العثمان

اشتهر بـ «مَنْجك باشا اليوسُفي» وهو مَنْجك بن محمد بن أبي بكر بن عبد القادر اليوسفي الشركسي الدمشقي، ولد في دمشق، وكان من أعظم شعراء عصره، وتبوّأت أشعاره مكانة رفيعة في بداية العصر العثماني.

وُلد سنة 1598م، في بيت زعامة ورئاسة، منتميًا إلى أسرة عريقة ومرموقة تنعم بالثراء والوجاهة، حيث كان أبوه الأمير محمد المَنْجكي واليًا على الرّقة والرّها، نهل من علوم كبار عصره، أمثال الشهاب أحمد الوفائي، وأبي العباس المقرّي.. ووُصف بحدة الذكاء وقوة الخيال وبراعة الأداء، فكان فصيح اللسان، بليغ الكلام، واسع المدارك في فنون الحديث.

لم يُقدّر ثروة والده بعد وفاته فبدّدها، وقرّر الذهاب إلى الأستانة ليمدح السلاطين، لكنه لم ينجح في مسعاه. بيد أن سفره فجّر قريحته الشعرية، فنظم في الأستانة أجمل قصائده التي عُرفت بـ«الروميات» محاكاة لروميات أبي فراس الحمداني... وبعد إخفاقه في الأستانة، عاد إلى دمشق مكتفيًا بما تبقّى من إرث أبيه، وقضى معظم وقته في مجالس العلماء والأدباء، وكان صديقًا لابن النقيب الحسيني، وفضل الله المحبّي، صاحب «خلاصة الأثر».

ترك منجك باشا، قصائد كثيرة وفي أغراض متعددة، جمعها وحقّقها فضل الله المحبّي، في ديوان بعد وفاته 1669م.

> **احتلّت أشعاره مكانة رفيعة في بداية العصر العثماني**

تفوّقه في المدح

تظهر للقارئ براعة مَنْجك المتميزة في قصائد المديح، وقد كثرت بسبب ضيق حاله بعد تبديد ثروة أبيه. واتّسمت تلك الأشعار بالمبالغات المفرطة في المدح، وهي سمة بارزة تضخّمت في الشعر العربي، خلال

كان أبوه الأمير محمد المَنْجكي واليًا على الرقة والرها

العصر العثماني. ومن ذلك ما قاله في مدح السلطان إبراهيم، عندما سافر إلى الأستانة حالمًا بالمكاسب والمناصب العليا، ومن أهمّ ما مدحه قصيدته الميمية المشهورة التي يقول فيها:

العَـدْلُ أَخْـرسَ كانَ قَبـل زَمانـه
أَذنـت لَـهُ الأَيـام أَن يَتَكـلَّما
صَحَّـتْ مِن السُّـقْم العُقـول بحلمه
وبظِلِّه الدِّينَ القَويـمُ قَـد احْتَمى

من الواضح أن هذين البيتَين يظهران قدرته على توظيف الأساليب البلاغية، لتوصيل معاني المديح بشكل مُقنع ومؤثر، وتعكس رغبته في التقرب من السلطان إبراهيم، عبر الإشادة بفضائله وأثره الإيجابي في العدل والعقول والدين.

ومن المعروف عنه أنه لم يقتصر مدحه على السلاطين والأمراء، فله قصائد عدّة يمدح بها بعض الأعيان والأصدقاء والعلماء الذين نشأ على أيديهم؛ ومن ذلك ما قاله يمدح أحمد أفندي القاري، أحد أعيان دمشق:

إذا سِـرْتُ خَفِّفْ من عَطايـاكَ إنّني
لَيُثقـلَ ظَهْـري جـودكَ المُتَكاثـرُ
ومـا أنـا مـن يأبـى نـداكَ وإنَّمـا
يَمَـلُّ من السُّـحْب الثّقال المُسـافرُ

من الملاحظ من الأبيات السابقة، أنه اتّبع أساليب الشعراء الأوائل في المدح وإظهار الكرم، واستخدم مفرداتهم (عَطاياك، جُودك، نَداك) واستعاد في شعره بعض تعابيرهم، ليعيد صياغتها بأسلوبه وروحه الخاصة.

أما الإشارة إلى مبالغاته الشعريّة في المدح، فيمكن ملاحظتها في أكثر من قصيدة، مثل قوله في مدح حسام زاده، الذي وُلّي القضاء في دمشـق، والشام قبل توليه منصب الإفتاء في الدولة العثمانية؛ فيقول:

فالشَّـمْسُ مَهْما تَرَقَّتْ فَهِـيَ قاصرَةٌ
عَن بَعْض أَيْسَـرِ شَـيء مِن مَراقيكا
أَعْيادُنـا كُلُّهـا يَـومٌ نَـراكَ بِـه
ولَيْلَـةُ القَـدْرِ وَقْـتٌ مِـنْ لَياليـكا

أما الشعر الذي اتّصف بالصدق عنده في هذا الغرض، فأكثره كان في مديح العلماء والأساتذة؛ ومن ذلك القصيدة التي توجه بها، إلى أستاذه عبد الرحمن العمادي، فيقول:

تَنْـدى أَنامِلُـهُ ويُشْـرِقُ وَجْهُـهُ
فَيَجـودُ بِـاللأّلاءِ والآلاءِ
يَقـظٌ بِأَعْقـاب الأُمـور كَأَنَّمـا
جُلِيَـتْ عَلَيـهِ حَقائـقُ الأَشـياءِ

نظم في الأستانة أجمل قصائده التي عُرفت بـ «الروميات»

يـا مَـوْرِدًا حامَـتْ عَلَيـهِ غُلَّتـي
مُـذْ جِئتُـهُ مُسْتسـقيًا ورَجائـي

هنا يُظهر الشاعر امتنانًا كبيرًا واعترافًا بفضل أستاذه، مثمّنًا ما منحه من علم، فأكفُّه نديّة لكل صادئ، ووجهه مبتسم لكل قادم.. ويعبّر عن ذلك بلغة سهلة وصادقة وعفوية، تخلو من التكلّف، على عكس مديحه للسلطان الذي اتّسم بالمبالغة، ما يعكس صدق المشاعر تجاه أستاذه، مقارنة بما جاء في مدائحه الرسمية.

الفخر

ويبدو أن تدهور حال منجك الماديّة، كان دافعًا لإشعال روح الفخر في نفسه، محاولًا بها أن يستعيد ذكريات أمجاده الضائعة. فهرب من واقع الهوان إلى ماضٍ زاخر بالعزّة والمجد، ليفخر بنفسه وبأسرته العريقة، وكأن فخره كان تعويضًا عن قسوة الواقع الذي يعيشه، يقول:

نَشَـأْتُ بِمَهْـدي رَفيـعَ الـذُّرى
وحَوْلـي الظِّبـاءُ وأُسْـدُ الشّـرى
ونادَمْـتُ كُلَّ سَـخِيِّ الوُجـود
يُطْعِـمُ نِيرانَـه العَنْـبَرا
ووالـديَ الشَّـهْمُ فَحْـلُ الرّجـالِ
وجَـدّي الأَميـرُ أميـرُ الـوَرى

في هذه الأبيات يريد أن يثبت لنا عظمة منبته، فيخصّ نفسه باستخدام ضمير المتكلّم، كأنما يريد إبراز حضور ذاته الشامخة، متحدّيًا بها الحاضر الأليم، ومحاولًا استعادة أمجاد الماضي، لتعويض ما فقده في واقعه، وفي موضع آخر يقول:

لَعَمْـريَ لَيْـس بالأَشْـعارِ فَخْـري
ولكـن بالقَواضِـبَ والعَوالـي
وأَحْسـابي لِسـانُ الدَّهْـرِ يَتْـلو
مآثِرَهـا علـى سَـمْع اللّيالـي

فنلاحظ أنه يفتخر بنسبه وأصوله الكريمة، ويصوّر أحسابه وكأنّها قصص ومآثر ترويها الأزمان وتتناقلها الليالي، ما يبرز أهمية إنجازات أجداده التي خلّدها التاريخ. فاستخدم الشاعر الاستعارة في تعبير «لِسان الدّهر» ليصور الزمن كأنه يتحدث عن أمجاد أسرته، ما يضفي على أحسابه صفة الخلود. وقد تعمّد إجراء تقابل بين الفخر بالشعر والفخر بالسيوف، ما يعزّز فكرة تفضيله الفعل على القول، والبطولات على الكلمات.

ترك قصائد كثيرة وفي أغراض متعددة

الاغتراب عن واقعه

يرى بعض النقاد أن غربة مَنْجك اليوسفي، «كانت غربة نفسية متقلّبة بين اعتزازه بذاته، وشعوره العميق بالحزن، بسبب ما مرّ به من أهوال ومحن، وما عاناه من مرارة الغربة وحرمانها. أحسّ بالغربة عن الناس والعالم من حوله، ما دفعه إلى رفض الانتماء إلى عصره وتفاقم شعوره بعدم الانسجام مع بيئته». لقد أوغل شعور الاغتراب في ذاتيته وأحسّ بوطأته، وأعاده إلى حاضره حيث اليأس والذلّ والتأسّف على ما مضى من العمر، وفي ذلك يقول:

أبادَتْ بَقايا الصَّبْرِ طارِقَـةُ الـدَّهْرِ
وعَهْد التّصابي وهـي رَيْحانَةُ العُمْرِ
كأنّـيَ لَمْ أَصْـنَعْ بِجِلَّـقَ مِـنْ يَـد
إذا ذُكِـرَتْ أَشْـتَمُّ رائحَـةَ الـشُّكْرِ
نَسَـوْني ولَوْ كانوا مِنَ النَّاس ما عُموا
عَنِ القَمَرِ السّـاري ولا جَهلوا قَدْري

لقد عبرت هذه الأبيات عن معاناته من قسوة الزمن وفقدان التقدير، وعكست، كذلك، حنينه إلى أيام مجده وشبابه. فاستطاع أن يرسم بصور بليغة ومؤثرة، مشاعر الحنين والفخر والألم، ليضع القارئ أمام تجربة وجدانية صادقة. واستخدامه أداة التشبيه «كأنّ» بما تحمله من ظنّ بمعروفه وإحسانه الذي أغرق كل من حوله. أما رائحة الشكر فتحمل دلالة إيحائية فيها الألم النفسي. ونرى هذا الشعور يتضخّم أكثر في «نونيته» التي يقول فيها:

يـا وُرْقُ مـا هذا الـنُّواحُ ... فَبَعْض ما عِنْـدي كَفاني
غادرْتُ بَيْـن الغوطتيْن ... بِمَنْـزلي السَّامي المَكانِ
أُمّـًا لهـا كَـبِدٌ عَلـيَّ ... مُذابـةٌ مـمّا دَهانـي
تَسْـتَخْبِرُ الرُّكْـبان عَن ... حالـي وتَنْـدُبُ كُلَّ آنِ

حاول الشاعر، بهذه الأبيات مناجاة الحمامة، واستحضار صورة الأمّ الحزينة، ورسم لوحة مؤثّرة تعكس حاله النفسية المعبّرة عن حال التشتّت والضياع التي يعيشها.

وتذكرنا هذه الأبيات بحسرة أبي فراس ولوعته، فتجربتاهما متماثلتان، وكان كلاهما صادرًا عن نفسية موزعة بين الماضي واستعادة الذكريات، وآلام الحاضر والتحسّر على الواقع، والأمّ المكلومة لفراق ولدها. كما كان كلاهما كاشفًا عن تمثّله لمعاناة الذات في حال اغترابها في بلاد نائية.

عبر في قصائده عن تماسك العلاقة مع الهُويّة

غزلياته

اتّسم شعر الغزل عند مَنْجك، بسمات الكلاسيكية التقليدية، فالمتتبّع لقصائده الغزلية، سيجد أنّها امتدادٌ لنهج الشعراء السابقين؛ مع إضافة لمسات خاصة تعكس روح العصر، ونافذة للهروب من قسوة الواقع إلى عالم من الجمال والخيال، بالمبالغة في التصوير، حيث لجأ إلى استخدام الصور البيانية البديعة، والتشبيهات والاستعارات البليغة لإبراز المشاعر. وكانت هذه الأساليب تُستخدم أحيانًا بإفراط، ما أدّى إلى نوع من التكلّف في التعبير؛ من ذلك قوله:

وكَأنّـا مِـن أُنسِـه ومَحْيـاه
بِـرَوض تَظلّنـا الأَفْنـانُ
خَـدُّهُ الـوَرْد والبَنَفسَـج صَدْعـاه
لِعَينـي وثَغْـرهُ الأُقْحُـوان
وكأنَّ الحديـثَ منـه هـو اللُّؤْلُـؤ
يَرْفَـضُّ بَيْننـا والجُمـانُ

أكثر الشاعر في هذه الأبيات من التشابيه، فشبه حالة الأنس بوجود المحبوب بالوجود في «روض»، وربط بين جمال فم المحبوب ونقاء زهرة الأقحوان، ما يعزز من صورة الجمال البريء. وشبّه حديثه باللؤلؤ، حيث يصوّر الكلمات وكأنها لآلئ تتناثر بين الناس، في إشارة إلى بلاغته وطيب حديثه.

وأما في قوله:

جَرَحَـتْ مُقلَتـاكَ عَقْلـي لِهـذا
دُرُّ دَمْعـي قَـدِ اسـتَحالَ عَقيقـا

وهنا نجد أنه استخدم استعارة مكنية حيثَ صوّر عيني المحبوبة وكأنّهما أداة جارحة تؤذي عقله. هذا التعبير يشير إلى شدّة تأثير نظرات المحبوب في الشاعر، وكأنها تصيب عقله وتفقده اتّزانه.

من الملاحظ أن أشعار مَنْجك ذات طبيعة تشاكلية مع القصائد القديمة التي سبقته، حيث عبّر فيها عن تماسك العلاقة مع الهُويّة اللغويّة والثقافية العربية، مع بداية انمحاء المشهد الشعري العربي الفخم الذي كان قبل هذه المرحلة.

وقد تبيّن لنا بهذه النصوص، مدى الانعكاس الحيّ لشخصيته وتجربته الحياتية، في ظل التحولات السياسية والاجتماعية في عصره. إذ جمع بين التأثّر بالتراث والابتكار الشخصي، والعفوية والزخرفة، ما جعله صوتًا شعريًا مميّزًا في نهاية العصر المملوكي، وبداية العهد العثماني.

مُرّي على القلب

مختار سيّد صالح
سوريا

نَوَيْتُ حُبّكِ مِنْ قَبْلِ اللّقاءِ بكِ ... ما بَيْنَ مُنْطَلَقٍ فيهِ ومُرْتَبَكِ
لَمَحْتُهُ في خَيالي ضَوْءَ بارقةٍ ... مِنَ العَواطِفِ في عُمْرٍ مِنَ الحَلَكِ
ضاءَتْ فكادَتْ تُربّي القلبَ، وانْطفأتْ ... فيتَّمَتْهُ، فَضَلَّ الدَّرْبَ عَنْكِ بكِ
فَهَلْ تُرى أنتِ مَنْ أمْطرتُها فَرَبَتْ ... وأوْرَقَتْ بيَ أمْ أمْحَلْتِ في فَلَكي
وهَلْ أنا أنا حقًّا أمْ يُخَيَّلُ لي ... أنّي ليَ الآنَ لا أنّي الأسيرُ لكِ
بَلى تَماهَيْتُ حتّى غِبْتُ فيكِ فَلَمْ ... أعُدْ إليَّ بإنْساني ولا مَلَكي
أبْكي وأضْحَكُ في آنٍ على حَذَرٍ ... ألاَّ أُضيعَكِ في دَمْعي وفي ضَحِكي
وفي مَتاهاتِ أفْكاري إذا اعْتَرَكَتْ ... فيها مَعانيكِ وَلْهى أيَّ مُعْتَرَكِ
نَوَيْتُ حُبَّكِ لا إفْكًا ولا بَطَرًا ... أُعيدُ طُهْرَكِ أنْ يَدْنو لِمُؤْتَفِكِ
تَحَمَّليني قَليلاً إنَّ بي ظَمأً ... الصَّحراءِ هيَّا أميطي المِلْحَ.. وانْسَفكي
وفِكْرةٍ فَذَّةٍ بِكْرٍ تُطارِحُني ... نَخْبَ القَصيدةِ بَيْنَ الخُلْدِ والهَلَكِ
تَجيئُني مِثلَما أهْوى وتخضَعُ لي ... في حينِ تأبى ولا تأتي إلى مَلِكِ
فَضَضْتُ عنْ سرِّها العالي بقافيةٍ ... بَديعةٍ حَدَّ أنَّ السِّرَّ أكْمَلَكِ
كَكُلِّ أتْرابِكِ اللاّئي حَطَطْنَ على ... دَفاتري رَفَّ أطْيارٍ على بِرَكِ
جَفلْنَ أوَّلَ أمْرِ الغَيْمِ ثَمَّ دنا ... مائي إلَيْهِنَّ إيقاعًا فبَلَّلَكِ
وها أنا الآنَ كُلّي فيكِ فالْتَفِتي ... إليَّ وَحْدِيْ وكُلَّ العالَمِ اتْركي
ما أطْيَبَ العُمْرَ والدُّنيا لِمُنشَغِلٍ ... بِمِثلِ هذا وأحْلاها لِمُنهَمِكِ
يا رَبِّ فاجْعَلْ قَصيداتي تُبلّغُني ... عُلا الجِنانِ فلا أهْوي إلى دَرَكِ
مُرّي على القَلْبِ بَيْضاءَ الرُّؤى فأنا ... نَوَيْتُ حُبَّكِ مِنْ قَبْلِ اللّقاءِ بكِ

فانوس الكلام

شقراء المدخلية
السعودية

صَعَدْتُ للشِّعْرِ لا ألْوي على جِهَةٍ ... وجُزْتُ نَفْسي كأنّي لَسْتُ قائلَتي
وسِرْتُ أتْبَعُ خَطْوي نَحْوَ قافِلَةٍ ... من النُّجومِ ووَحْدي كُنْتُ قافِلَتي
وهَبْتُ للشَّمْسِ رَمْضائي فَما بَرِحَتْ ... بيَ الصَّحاريَ حتّى اجْتَزْتُ مَرْحَلَتي
قَلَبْتُ حَرْفي على جَمْرِ الخَليلِ ضُحى ... وزِدْتُ حتّى ارْتَوَتْ بالضَّوْءِ أخْيِلَتي
في خَيْمَةٍ يألَفُ السُّمّارُ قَهْوَتَها ... ومَزْهَرٍ حَوْلَها يَجْتَرُّ أسْئلَتي
كَمْ قاسَمَتْني بها الأفْكارُ قافِيَةً ... وكَمْ طَرَقْتُ بها أسْرارَ قافِيَتي
وكَمْ رَحَلْتُ إلى مَعْنايَ يَحْمِلُني ... زَهْوُ النَّخيلِ وكَمْ طاوَلْتُ صَلْصَلَتي
صَوْتي تَعَلَّقَ بالرِّيحِ التي عَزَفَتْ ... لَحْنَ الصَّبا وتَهادَتْ صَوْبَ مِئذَنَتي
صَعَدْتُ للشِّعْرِ قالَتْ طِفْلَةٌ كَبِرَتْ ... في مُقْلَتَيّ ورَفَّتْ مِثْلَ سَوْسَنَةِ
مِن دَمْعِ أُمّيَ والأصْداءُ تَكْتُبُني ... قَصيدَةً وجِرارُ الحُزْنِ مِحْبَرَتي
فَتَحْتُ لِلنَّصِّ مِحْرابي فَما بَطُلَتْ ... مِنّي الصَّلاةُ ولكنْ حُزْتُ أغْنِيَتي
وجِئْتُ شاسِعَةَ الإيمانِ بي عَطَشٌ ... إلى الجِنانِ وبي ذَنْبي ومَغْفِرَتي
لَمْ أُحْسِنِ الحُبَّ لكنّي مَنَحْتُ دَمي ... لِلغادِياتِ وَهَبْتُ الغَيْبَ بوصِلَتي
في خافِقي طائرُ الإنْشادِ يُخْبِرُني ... أنّي ارْتَقَيْتُ لأنَّ الشِّعْرَ أجْنِحَتي
وأنَّ قَيْظَ فُؤادي لَيْسَ يُطْفِئُهُ ... إلاّ المَجازُ الّذي تَرْويهِ مُلْهِمَتي
صَعَدْتُ للشِّعْرِ لا جِبْريلَ يَفْتَحُ لي ... بابَ المَجازِ ولا الإسْراءُ مُعْجِزَتي
لَكِنْ أقَمْتُ حُروفي في مَنازِلِها ... وعُدْتُ منها تَقِيًّا وافِرَ اللُّغَةِ
ولَمْ أخُنْ ثِقَةَ الأشْجارِ طامِعَةً ... بِزُرْقَةِ النّارِ في أحْداقِ مِدْفَأتي
صَبَبْتُ جُوعي على الأيّامِ فانْبَجَسَتْ ... مِنّي العُيونُ وسالَتْ كُلُّ أوْدِيَتي
مَنَحْتُ لِلكَلِماتِ الخُرْسِ زينَتَها ... وزَيْتَها والصَّدى المَخْبوءَ في رِئتي
وعُدْتُ مُتْرَعَةً بالنُّورِ تَذْكِرَتي ... إلى الخُلودِ تَفاعيلي ومَوْهِبَتي

ضوء الحنين

الأمين الطالب محمد
موريتانيا

غَريــقَ الْحُبِّ خُـذْ نَفَسًـا عَميقا ... وصِـحْ بِالْكَائِنَـاتِ لِتْسْـتَفِيقا

وغَـنِّ.. مُشَـيِّعًا بِنَـدَى الأَغانِـي ... مَشَـاعِرَكَ التِّـي دَمُهـا أُرِيقـا

عَلَـى ضَـوْءِ الْحَنِيـنِ؛ يَمُـرُّ ظِلٌّ ... وأَنْـتَ تعِيـرُهُ نَظَـرًا دَقِيقـا

رَأَيْتُـكَ فِـي اخْضِرارِ الوَقْـتِ، لَمّا ... مَواوِيـلُ الهَـوى كَانَـتْ رَحِيقـا

فـؤَادُكَ يَنْتَشِـي طَربًا، كَعُشْـبٍ ... تَرَشَّـفَ مِـنْ فَـمِ الْغَيْمَـاتِ رِيقا

رَأَيْتُـكَ مَحْـضَ إِنْسـانٍ مَشُـوقٍ ... مَرايَـا الْوَجْـدِ تَجْعَلُـهُ أَنِيقـا

يَعِيـشُ حَيَاتَـهُ فَنًّـا أَصِـيلاً ... ويَعْتَنِـقُ الْهَـوَى دِينًـا وَثِيقـا

وَيَرْضَى قِسْـمَةَ الدُّنْيـا، كَمَن لمْ ... يَجِـدْ فِي نَفْسِـهِ حَرَجًـا وضِيقا

صَدِيقِي، أَيُّهـا الْوَلْهـانُ.. خُذْنِي ... دَلِـيلاً، كَـيْ أُلَقِّنَـكَ الطَّرِيقـا

أَنَـا قَـدْ أمْتَطِـي مُهْـرَ الْقَوافِـي ... تَجُـوبُ بِـيَ الْخَواطِـرَ والْعُرُوقا

فَإِمّـا أَلْتَقِـي سُـلْطَانَ عَطْـفٍ ... أَقُـولُ: رَفِيقَـةٌ تَرَكَـتْ رَفِيقـا

عَسـاهُ يُزِيـحُ لَيْـلَ الْبُعْـدِ عَنَّـا ... ومِـنْ إِنْصافِـهِ يُهْـدِي بَرِيقـا

وإِلاَّ فَلْتَمُـتْ فِينـا شُـمُوسُ ... الْغَـرامِ؛ فَلا غُـرُوبَ، ولا شُـرُوقا

حقيبةٌ لسفرٍ طويل

نجوى عبيدات
الجزائر

بَيْنَ الحيـاةِ وبَيْن المَـوْتِ أَرْجَحَنا ... جُرحُ الطّريـقِ فَكِدْنا لا نعِي الفَرْقَا

نَحْـنُ الذيـنَ إذا مـا ضَمّنـا أُفُـقٌ ... الغَرْبُ يَطْوي على أَحْداقِنا الشّرْقا

لأنّنـا نَفْضَـحُ الأَمْـواجَ إن عَبَـرتْ ... أَحْلامُنا.. كُلُّنا خَلفَ المدى غَرْقى

نَرى السّـنابِلَ تَـذْوي تَحْتهـا رِئةٌ ... لكنّها انْكَمَشَـتْ عَن بَسْـطِها خَنْقا

نَرى الطّفولَةَ شاخَتْ قَبلَ مَوْعِدها ... وحَبْلُ أَحْزانِها يَسْـتَعْذِبُ الشَّـنْقا

نَرى العَصافيرَ تَمْضي خَلْفَها سُحُبٌ ... تَسْـعى طويلاً لِكَيْ تَسْتَعْبِدَ الأُفْقا

نَـرى البُيوتَ الّتي عِشْـنا بهـا زَمَنًا ... أَبْوابُها لَـمْ تَعُدْ تَسْـتَحمِلُ الطَّرْقا

حَقيبةٌ لَمْ تَجِدْ في الأَرْضِ مُتّسـعًا ... وغائبـونَ بَكَـوْا أَوْطانَهـم شَـوْقا

ونَخْلةٌ فـي صَحارى عُمْرِهـا بَهُتَت ... ولَمْ يَعُـدْ هَمُّها في الرّيـحِ أَنْ تَبْقى

مِلْيـونُ أُغْنِيَـةٍ فـي خَدِّها شَـجَنٌ ... لأنَّ سـامِعَها لا يَعْـرِفُ الصِّدْقـا

العابـرونَ إلـى العِرْفـانِ تَنْقُصُهم ... قُلوبٌ من جُرِحُوا كَيْ يَفْهَموا العِشْقا

نَحْتـاجُ أَزْمِنَـةً أُخْـرى لِغَيْمَتِنـا ... لِيُصْبِـحَ الغَيْـثُ في عِرْفانِـهِ أَتْقى

نَحْتـاجُ لِلْمَسْـرحِ المُبْتَـلِ أَقْنِعَـةً ... مِـنَ الزُّجـاجِ ونَحْتاجُ النَّـدى أَنْقى

لِـذا مَضَيْتُ إلى الغَيْبِيّ مِنْ سَـفَري ... لَعَلَّ خَطْـوي يَرى مَنْ يُدْرِكُ العُمْقا

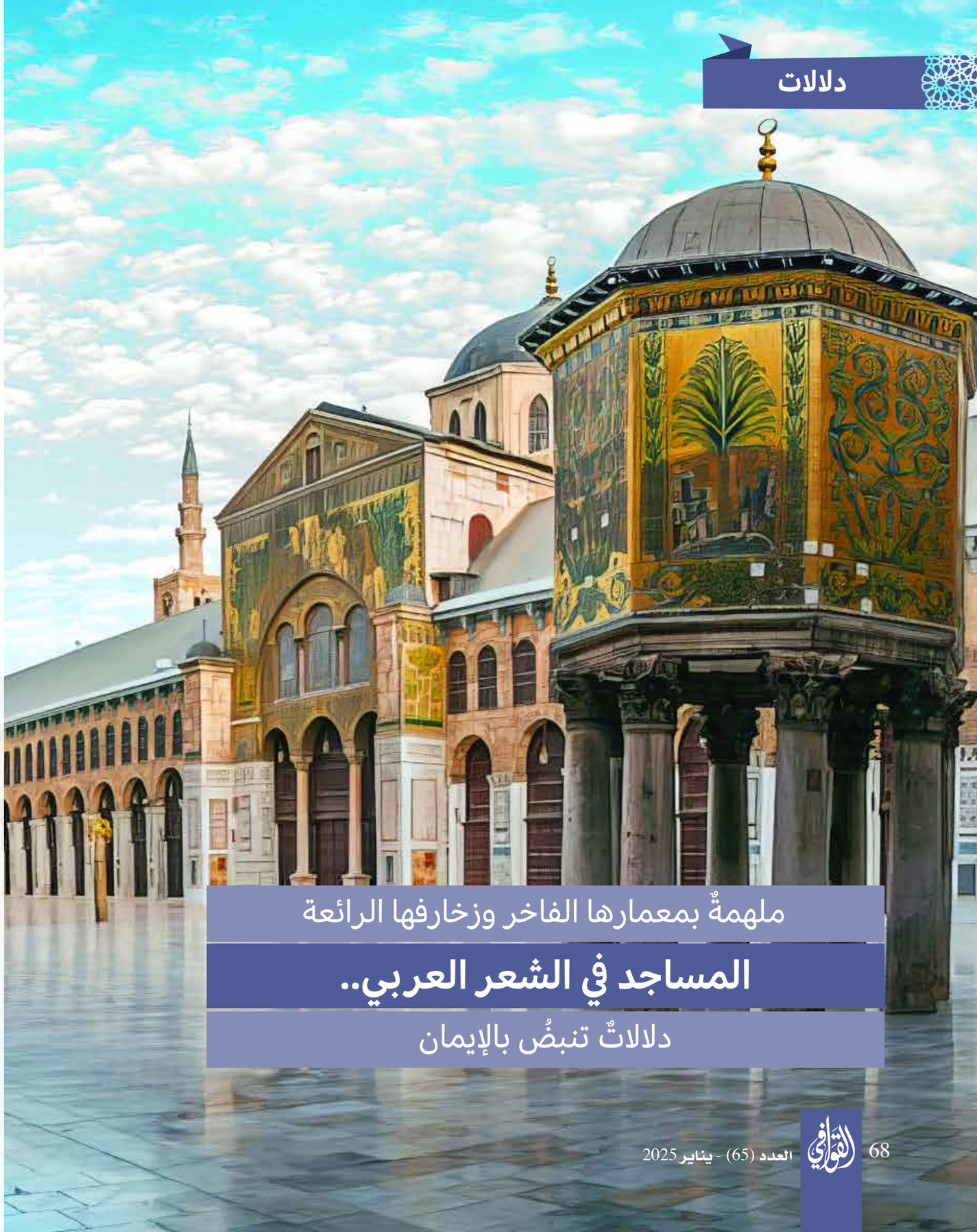

ملهمةٌ بمعمارها الفاخر وزخارفها الرائعة

المساجد في الشعر العربي..

دلالاتٌ تنبضُ بالإيمان

د. إيمان عصام خلف
مصر

تمثل المساجد قيمة دينية وفكرية وحضارية عند المسلمين في شتى بقاع الأرض، وقد انعكس ذلك على شكلها المعماري، من حيث بنيانها وزخرفها. وقد تناول الشعراء في أشعارهم المختلفة المساجد وكل ما يتعلق بها من بناء، وفنون معمارية، وطقوس زخرفية مختلفة؛ وكلّ بناء أخذ طابعًا مختلفًا عن الآخر، من حيث ارتباطه بثقافة المكان وأهله، فتغنّوا بالمساجد وأفردوا لها الكثير من الأشعار في دواوينهم، تعبيرًا عن جماليات التشكيل الفني والمعماري. فأصبحت قصيدةً مفتوحةً على أبواب الوجدان والإبداع.

كتب الشعراء عن المساجد وأفردوا لها الكثير من الأشعار

ومن ثمّ وجدنا المساجد عند الشعراء ليست مكانًا تتباهى به قصائدهم فقط، بل منبع الطهر، ومحراب الروحانيات، ومستقرّ الأرواح، والملاذ الذي يستلهمون منه إبداعهم الشعري أو قصائدهم، بنفحات إيمانية وهمسات دعائية، لتصبح بوابةً لانبعاثات ضوئية من ضياء النور واليقين، فيتحول المسجد عند الشعراء ملحمةً روحيةً تفيض بالخشوع، والإيمان، والتقوى، فأتت أشعارهم محمّلة بدلالات وتأويلات مجسّدة لفضائهم الشعري المحلّق بإبداعهم الخاشع، فانسابت ألحانهم الشعرية مجسّدة لما يفيض بوجدانهم تجاهها.

وقد حفلت الفنون التشكيلية بأنواع شتّى من العمارة والتصميم لهذه المساجد، مجتمعةً أو منفصلةً، مرتبطة في ذلك بالحقبة الزمنية التي بنيت فيها؛ ولعل الشعراء أكثر دقة في وصف المساجد وقيمتها ومكانتها في شتى

تتحوّل عند الشعراء ملحمةً روحيةً تفيض بالخشوع

البلدان، وفي كل دولة مساجد يشار إليها بالبنان، وتكون زيارتها بوصفها قيمةً دينيةً أو معماريةً أو شكلًا من أشكال التراث الإسلامي؛ ومن أشهرها – بوجه عام- «المَسجدُ الحَرام» في مكة، فهو قبلة المسلمين ومكان لأداء مناسك الحجّ والعمرة، ترتفع فيه الحناجر بالدعاء. وفي المدينة المنورة «مَسجدُ الرّسول» (ص). وفي القدس «المَسجدُ الأقصى» أولى القبلتين. و«مَسجدُ الشيخ زايد» في أبوظبي، و«مَسجدُ الشارقة»، و«مَسجدُ الحسن الثاني» في المغرب، والجامع الأزهر في مصر، وغيرها من المساجد في الأقطار العربية وغير العربية.

وعود على بَدء إذا نظرنا إلى معنى كلمة مسجد في المعجم اللغوي، نجده: «كلّ موضع يُتَعَبَّد فيه أو الذي يُسْجَد فيه». وبالنظر إلى كلمة سجود نجدها استخدمت في أشعار ما قبل الإسلام، وجاءت حاملةً كثيرًا من المعاني والدلالات، كالتعظيم، والانتماء، والاعتزاز، والفخر، والخوف؛ كقول عمرو بن كلثوم، في معلّقته:

إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا صَبيٌّ
تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا

جسّد الشاعر مفهوم السجود والانحناء، بما يبرهن على قوة قبيلته، وربطها عبر مهارته الشعرية بالملموس في الواقع الحياتي وهو «السّجود»، في قوله «تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا»، فرسم لنا صورة واقعية لاشتداد صُلب الصبي، والخوف كذلك، لكونه فارسًا يتحاشاه الجبابرة.

واستخدمه عنترة بن شداد، حيث يقول:

بِصارِمٍ حَيثُما جرَّدْتُهُ سَجدَتْ
لَهُ جَبابِرةُ الأَعْجامِ والعربِ

وقوله أيضًا:

رَغَّمتُ أَنْفَ الحاسِدين بِسَطْوتي
فغَدُوا لها مِن راكِعينَ وسُجَّد

واستطاع المسيّب بن علس، أن يجسّد حالة من التَّرَفُّع والعِزَّة، بتجسيد انتمائه لنفسه واعتزازه بها، عبر ربط الملموس والمحسوس وهي «الدرّة»، بلفظ «السُّجود»، تعبيرًا عن دلالة الانبهار، فيصف لنا شعورًا لغائص بعد امتلاكه درّة قائلًا:

وتَرى الصَّراري يَسْجُدونَ لَها
ويضُمُّها بيدَيْه للنَّحْر

أما بالنسبة لكلمة «مَسْجد»، فإنها لم تذكرَ قبل الإسلام، ولَم يكن يُعنَى بها مكان الصلاة والتعبّد، وقد ذكرها عبيد بن الأبرص، إشارة إلى موضع مكاني قائلًا:

وهلْ رامَ عن عَهْدي ودَيْكَ مَكانَهُ
إلى حَيْثُ يُفضي سَيلُ ذات المَساجِد

وبظهور الإسلام في الجَزيرة العربية وانتشار الدين الإسلامي، دَخَلَ

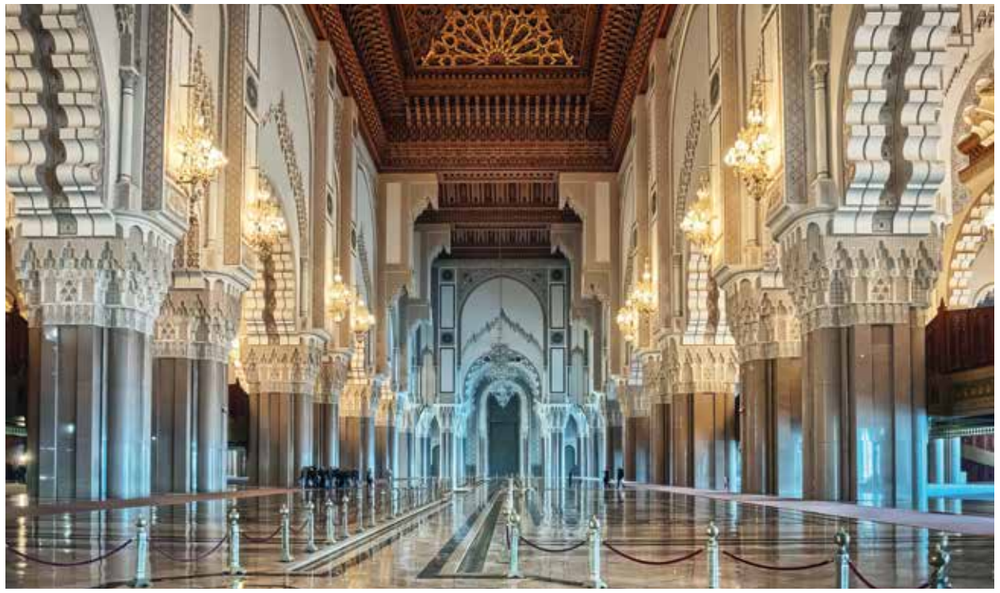

نشأت علاقة وثيقة بين المسجد وحركة الشعر

عدد كبير من الشعراء في الإسلام، فاستوطن قلوبهم، وغمر أفكارهم، وحملوا رسالته في أشعارهم، فمدحوا الرسول (ص) ودافعوا عنه وعن دينهم، فأصبح الشعر سلاحًا في المعارك، وتجلّى الشاعر بأشعاره ومَثَّل المحسوس وجسّد كل مجرّد وربطه بالمقدّسات ليرقى بأشعاره، ومن ثمّ أصبح المسجد رمزًا يستشهد به، فكتبت الأشعار، فيه وله، وألقيت القصائد على منابره، فقد جعل رسولنا (ص) في مسجده منبرًا لحسّان بن ثابت، كما ذكر ابن هشام في «السيرة النبوية» أن كعب بن زهير، أنشد قصيدته للرسول (ص) في المسجد.

ويعبّر المرار الفقعسي، عن المسجد بكونه دارًا للعبادة، وبُنِيَ ليتعبّد فيه المسلمون، وما يتضمنه من منابر مُسَخَّرة لهم، في قوله:

لَنا المَساجِدُ نَبْنيها ونَعْمُرُها
وفي المَنابر قَعْداتٌ لنا ذُلُلُ

ونشأت علاقة وثيقة بين المسجد وحركة الشعر، وجاءت الأشعار المهتمة بالمساجد كضوء شمس يشعّ عبر نوافذها، كما عبّرت معانيهم عن التقوى والسعي إلى الفضيلة، فتجاوز الحجارة إلى الروح، فنفذت من النور دلالات تنبض بالإيمان والانتماء، وهو ما نلحظه في فخر السيد الحميري بالمسجد الحرام، ومسجد قباء لكونهما من المساجد التي كرّمها الله، وجعلها عامرة بالمصلّين والمتعبّدين؛ يقول:

لَعَمْرُكَ ما مِنْ مَسْجِدٍ بَعدَ مَسْجِدٍ
بِمكَّةَ طُهْرًا أو مُصلّى بِيَثْرِبِ
بِشَرْقٍ ولا غَرْبٍ عَلِمْنا مَكانَهُ
مِن الأرْضِ مَعْمورًا ولا مُتجَنَّبِ
بِأبْيَنَ فَضْلًا مِن مُصلّى مُبارَكٍ
بِكوفانَ رَحْبِ ذي أراسٍ ومَحْصَبِ

وأثناء رحلته إلى المدينة المنورة تغنّى الدكتور عبده بدوي، بهذه الرحلة، وما انطبع في ذاكرته من مسجد الرسول (ص)، والروضة الشريفة، حيث يقول:

يا رَبِّ طالَ الشَّوْقُ صارَ حَمامَةً
قَلْبي فَهَدِّبْ لَهْفَتي وتَشوُّقي
ولْتَتْرُكَنِّي وَردةً ماسيَّةً
في رَوضَةٍ بِالمَسجِدِ المُتألِّقِ
هِمْنا بِهِ حتَّى رأينا أنَّنا
صِرْنا ملائِكةً تَجِدُّ وتَرْتَقي

وعبّر الشعراء عن إعجابهم بالمساجد وتفرّدها في البناء، فرسموا

كعب بن زهير أنشد قصيدته للرسول الكريم في المسجد

لنا في أشعارهم ترابطًا بين الشكل والمضمون، فجاءت صورهم تحمل براعة الجانب المادي المحسوس، وإتقان الجانب المعنوي في التشييد، فسحرت الروح للنظر إليها، وتجلّى الإيمان في ساحاتها؛ وها هي دمشقُ تفخر بمسجدها وبمحاسنه، فنجد أحد الشعراء يصف المسجد الأمويّ قائلًا:

دِمَشـقُ قَدْ شـاعَ حُسْـنُ جامعِهـا
ومـا حَوَتْـهُ رُبـى رَبائِعِهـا
بَديعَـةُ المُـدْنِ فـي الكَمـالِ لمـا
يُدْرِكُـهُ الطَّـرْفُ مِـنْ بَدائِعِهـا
طَيْبَـةٌ أَرْضُهـا، مُبارَكـةٌ
بِاليُمْـنِ والسَّـعْدِ أَخْـذُ طالِعِهـا
جامِعُهـا جامِـعُ المَحاسِـنِ قـدْ
فاقَـتْ بِـهِ المُـدْنَ فِـي جَوامِعِهـا

أما الشاعر برهان الدين القيراطي، فَتَفَرَّد في رسم صورة المسجد الأموي، ووصف بنائه بالحسن والإيمان، بل جعل صناعته تحدّق بها الذوات ماديًا وروحيًا؛ فالمادي هو مستوى الصنعة وتشييد المسجد؛ أما الروحي فجسّد دقائق حسنه وطرازه في لوحة فسيفسائية معبّرة ومتقنة، بها تواشج وعناق بين الروح والذات، وهو ما نلمحه في قوله:

في الجامعِ الأُمَوِيِّ الحُسْـنُ مُجْتَمِعٌ
وبابُـهُ فيـه لِلإحْـداقِ لَـذّاتُ
دقائِـقُ الحُسْـنِ يَحْويهـا لَـهُ دَرَجٌ
فَحَبَّـذا منـهُ بالسّـاعاتِ سـاعاتُ
وحَبَّـذا مَعْبَـدٌ كَـمْ أَطْرَبـتْ أُذُنًـا
فِيـهِ مِـنَ الذِّكْـرِ نَغْمـاتٌ وأَصْـواتُ

وبرع الشاعر في توظيف رمزية المسجد ومكانتها عند المسلمين في مدح بعض الخلفاء، فخلع من المسجد صورة فسيفسائية دقيقة، ووظّفها لإخراج صورة شعرية أخرى تحمل في طيّاتها إبداعًا يصف به الممدوح.

وقد أحسن الفرزدق في توظيف أهمية المسجد الأقصى ومكانته في قلوب المسلمين، وغاص في لغته العذبة حاملًا في ناصيته الشعرية لغةً وصورًا ودلالةً، موظفًا إيّاها في مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك، في قوله:

وبِالمَسـجِدِ الأَقْصَى الإمامُ الَّـذي اهتَدى
بِـهِ مِـنْ قُلـوبِ المُمْتَريـنَ ضَلالُهـا

لم تكن المساجد يومًا مجرّد دور للعبادة

بِـهِ كَشَـفَ اللَّـهُ البَـلاءَ وأَشْـرَقَتْ
لَـهُ الأَرضُ والآفـاقُ نَحْـسٌ هِلالُهـا

ويتغنّى الشاعر السعودي عبد الرحمن العشماوي، بالمسجد الأقصى، رابطًا بين حسنه وحسن مدينته، فالقدس تفخر بمسجدها، فيصف شعره محاسن الأقصى وتفرّده بصور وجدانية تُؤثر في النفوس، في قوله:

يـا مَسْـجِدَ الأقْصـى، أَراكَ علـى
هـامِ السَّـحابِ، وأنْـتَ فـي القُدْسِ
وأراكَ ضَـوْءَ الفَجْـرِ مُصْطَبِحًـا
وأراكَ بَـدْرًا حِينَمـا أُمْسـي
وأراكَ فـي ثَغْـرِ الصَّبـاحِ نَـدىً
تَهْفـو إليـهِ مَنابـتُ الغَـرْسِ

رسم الشاعر لوحة متحركة بديعة الوصف للمسجد، فعرض في زواياه دلالات سافرت بالمتلقّي إلى عالم السحر والبراعة، فمكانته فوق السحاب لا تضاهي رفعته شيء، وجمع بين دلالتي الإشراق في الفجر، والغوص في أضواء البدر كلفظ «وأراكَ، ضَوْءَ الفَجْرِ، وأراكَ بَدْرًا، أُمْسي، ثَغْر الصَّباحِ»، فرسم لنا صورة تجعلك مدهوشًا ومتحيّرًا من سبك الصياغة وجودة المعنى.

وقد جسّد أحمد سحنون، مدى اشتياق المسلمين لبناء مسجد الأرقم، الذي كان حُلمًا، فخاطرًا ثم تحول حقيقةً ملموسةً وواقعًا مبهجًا، وهو ما أثبته في قوله:

حَبَّـذا المَسْـجِدُ الّـذي طالَما قَدْ
عـاشَ فـي النّـاسِ مَعْقِـدَ الآمـالِ
سَـوْفَ يَغْـدُو عَمّـا قَريـبٍ بِمـا
يُثْمِـرُ لِلنّـاسِ مَضْـرِبَ الأَمْثـالِ
إِنَّهُ المَسْـجِدُ الَّـذي سَـوْفَ يَحْدُو
مَـنْ يُريـدُ الهُـدى لِخيـرِ مَـآلِ

إنّ المساجد لم تكن يومًا مجرد دور للعبادة، بل كانت منارات للثقافة والتنوير، ومحورًا للتأمّل الذاتي والروحي للشعراء، فألهمت بمعمارها الفاخر وزخارفها الرائعة الشعراء وسيطرت على أبياتهم، فتغنّوا بها وبجمالها، ورسموا لنا صورًا تشعّ بنور التقوى واليقين والإيمان، فأبحروا بأشعارهم من مكة إلى القدس، ومن دمشق إلى القاهرة، وتجلّت فيها عظمة المساجد، وجسّدوا في أبياتهم أروع ما خطّه الإنسان من مشاعر وأفكار، ومفصحًا عن قيمة الشعر العربي وما يقدمه من آفاق سامية تعكس عمق الروح الإيمانية للحضارة الإسلامية.

في قصيدته مزجٌ بين الرمزية والوجدانية

بشّار محمد

يدعو إلى التأمّل في «ما روته الريح»

تُعَـدُّ قصيدة «مـا روته الريح» للشـاعر بشّـار محمد، من النصوص الشـعرية التي تجمـع بين الرمزيـة والوجدانية، وتتميـز بعمقهـا الإنسـاني وتناولهـا لقضايا فلسـفية عبر لغة شـعرية مكثّفـة وإيقاع متدفّـق. فضلاً عـن أنها تعكس تجربة شـعرية عميقة، تجمع بين المعانـي الرمزية، واللغة الموحيـة، والبنية الإيقاعية المتماسـكة. إذ يحمـل العنوان بُعـداً رمزياً قوياً؛ فالريح هنا ليسـت مجـرد عنصر طبيعي، بل تجسـد فكرة التنقـل، والحرية، وعـدم الثبات.

د. بوجمعة العوفي
المغرب

اللغة والأسلوب يجمعان بين الرمز والمشهدية

وبما أنّ اللغة التصويرية للقصيدة تعتمد على التخييل الذي يمزج بين الواقع والرمز، كقوله «تَرَكوا على الماءِ القَديمِ رِحالَهم»، نجد اللغة والأسلوب يجمعان بين الرمز والمشهدية، ليصبح الماء القديم استعارة للماضي، وقوله «على ضِفافِ الحُزنِ ما لا يُلمحُ»، حيث يصور الشاعر هنا الحزن كأنه نهر يحمل أسرارًا خفية. أما بالنسبة للاختزال والإيحاء، فنجده يوجز في لغة القصيدة، من دون فقدان المعنى، فيترك مساحة واسعة للتأويل؛ يقول في مطلع القصيدة:

مـا بَيْـنَ شَـهْقَةِ وَرْدَتَيْـن تَجَرَّحوا
قَرأوا كتـابَ العُمْـر ثمَّ اسْـتَفْتَحوا

يصور حالة من الألم والانتقال بين لحظتين مشحونتين بالعاطفة. إذ تَحمِل عبارة «شَهْقَة وَرْدَتَيْن» رمزية عميقة: حيث غالبًا ما تكون الوردة رمزًا للحياة أو الجمال، لكن وجود «شهقة» بينهما يشير إلى لحظة مفصلية قد تكون الولادة أو الموت أو حتى دهشة مباغتة. أما الفعل «تَجَرّحوا»، فيوحي بأن هذه اللحظة ليست هادئة، بل ملأى بالألم والمعاناة.

تَرَكـوا على المـاءِ القَديـم رِحالَهُم
وعلـى ضِفـاف الحُـزْن مـا لا يُلْمَحُ

تأخذنا هذه الأبيات إلى صور تعكس الرحيل والتخلّي. حيث «الماء القديم» يحمل دلالة على الذاكرة أو الماضي، إذ يشير إلى استمرارية الزمن وترسباته. والرحال الملقاة على هذا الماء تشير إلى فعل التخلّي أو إنهاء رحلة شاقة. أما «ضِفافُ الحُزن»، فتُصوّر الحزن كأنه نهر يحمل أسرارًا لا يمكن رؤيتها بوضوح.

وتَشَـبَّثوا بالحُلْـمِ حتّـى المُنْتَهـى
وتَعَلَّقـوا بالرّيـح ثُـمَّ تَأرْجَحـوا

هنا تظهر المقاومة الإنسانية في مواجهة الألم والتّيه. والتشبّث بالحلم يعكس الإصرار على السعي وراء الأمل، حتى وإن كان بعيد المنال. أما «التعلّق بالرّيح»، فيوحي بالسعي وراء المجهول أو المستحيل. فيما يشير الفعل «تأرْجَحوا» إلى عدم الثبات، وكأنّ الشخصيات في القصيدة معلّقة بين السماء والأرض، بين الواقع والحلم، في حالة دائمة من التردد.

ها هُـمْ وتينُ الحَـيِّ يَقْطِفُ نَفْسَـهُ
عَنْهَـم وأغْصـانُ المَـكانِ تُلَـوِّحُ

تتحول القصيدة هنا إلى تصوير لحظة أكثر رمزية وتعبيرية. وعبارة «تِين الحَيِّ يَقْطِفُ نَفْسَهُ» تبرز فكرة الانفصال عن الحياة، والأغصان التي «تلوّح» تضفي إحساسًا بالوداع أو الإشارة إلى مسار لم يسلكوه بعد. المشهد هنا رمزيّ للغاية، يوحي بحال من التلاشي البطيء، سواء في الحضور

تعبير عن المسؤولية الذاتية في تحديد المصير

الجسدي أو الروحي.

دَخَلـوا الحِكايَـةَ وهيَ فـي عِرْفانِها
ثَـوْبٌ أَشَـفُّ مِـنَ الحَريـرِ وأوْضَـحُ

هنا تظهر الحكاية ككيان شبه خيالي؛ فالحكَاية تمثّل المعرفةَ أو التجربة الإنسانية، وهي «ثوب أشف من الحرير»، أي أنها مليئة بالرقة والوضوح رغم شفافيتها. هنا يرسم الشاعر الحكاية كحقيقة واضحة في معناها العميق، لكنها تحتاج إلى تأمّل دقيق لرؤية تفاصيلها على وجه التحديد.

وكأنَّهُـم مِـنْ كُلِّ صَـوْبٍ أقْبَلـوا
وكأنَّهُـم مِـنْ كُلِّ مـاءٍ يُنْضَـحُ

تتكرّر هنا فكرة التعدّد و غير النهائية. وعبارة «مِنْ كُلِّ صَوْبٍ أقْبَلوا» تعبير عن شمولية التجربة الإنسانية، وكأن الشخصيات تمثل جميع الاتجاهات والاحتمالات. أمّا «مِنْ كُلِّ ماءٍ يُنْضَحُ»، فتحمل رمزية الحياة كعنصر متدفق ومتشابك، لا يمكن فصل مكوناته.

وكأنَّ خارِطَـةَ الجِهـاتِ تَعَطَّلَـتْ
فَهُـمُ الجِهـاتُ وهُـمْ جَميعًـا نُـزَّحُ

في هذا البيت يصل التيه إلى ذروته، إذ يصوّر الشخصيات وكأنها فقدت الاتجاه، لكن وبشكل مفارِق، تصبح هي الجهات ذاتها، ما يعكس حالًا من الاغتراب الداخلي والاعتماد على الذات في غياب أي دليل خارجي.

لَـمْ تَـدْرِ مـا أسـماؤهُم أسْـماؤهم
مـا مِـنْ أبٍ فيهـم ولا مَـنْ يَشْـرَحُ

هنا تصبح الأسماء من دون هُوِيّة، والشّخصيات في النصّ لم تعد تمتلك أسماء واضحةً، ما يعكس فقدانًا للذّات أو محوًا للهُوية. بحيث توحي عبارة «ما مِن أبٍ فيهم» بالانقطاع عن الجذور، وغياب «الشّارح» يعمق إحساس الغموض والعزلة.

مـا مِـنْ هُويّـاتٍ لَهُـم إلّا الأَسـى
حُلـمٌ هُلامِـيٌّ وفيـه تَفَتَّحـوا

هنا يكمل الشاعر رسم صورة الشخصيات، كأنها كيَان غير مُعرّف إلّا بالحزن. ويبقى الأمل الوحيد المتاح لهم هو حلم هلامي، غير واضح أو ملموس، لكنه ما زال يحمل إمكانية الانفتاح على احتمالات ممكنة وجديدة.

ولَهُـمْ مِـنَ المَنْفى القَريـبِ قَصائدٌ
ولَهُـمْ مِـنَ الوَجَـعِ البَعيـدِ تَقَـرُّحُ

في هذا البيت يوحي المنفى القريبَ بالنفي الداخليَ، حيث يصبح المكان الذي يعيش فيه الأشخاص غريبًا عنهم. والقصيدة هنا تعبر عن محاولتهم لإيجاد صوت أو هُويّة وسط الألم. أما «الوَجعُ البَعيد»، فهو تراكم للآلام التي لا تزال تنخر في أرواحهم رغم الزمن.

ولَهُـمْ مِـنَ النِّسْـيانِ مـا يَتَذَكَّـرُ
الإنسـانُ، لَكن لَيْـس ما يَسْـتَوْضِحُ

هنا تبرُز المفارقة بين التذكر والنسيان. إذ تحتفظ الشخصيات بجزء ممّا نسيته، لكنه غير واضح بما يكفي لفهمه. وكأنّ النسيان ذاته أصبح أداة للحفظ بدلًا من المحو.

يوجز في لغة القصيدة من دون فقدان المعنى

هذا الشَّـجا الأبَـدِيُّ أحْكَمَ نَفْسَـهُ
فيهـمْ، وظَـلَّ مُرابِطًـا لا يَبْـرَحُ

«الشَّجا الأبديّ» هو الحزن العميق الذي أصبحَ جزءًا لا يتجزّأ من الشخوص. والحزن لا يغادرهم، بل يظل مرابطًا كحارس لوجودهم المنذور للألم والعذاب.

وهُـمُ هُـمُ حَيْـثُ الحَيـاةُ تَطَلُّـعٌ
للْمُسَـتَحيلِ، ولا يَهـونُ المَطْمَـحُ

يُظهر هذا البيت روح المَقاومة والتطلّعَ لدى الشخصيات، وبالرغم من كل شيء، فهي تسعى لتحقيق المستحيل، ما يعكس الإصرار الإنساني على السعي لتحقيق الأحلام.

كَـمْ تُوجِـعُ الطُّرُقاتُ لَوْ قالَـتْ لَهُم:
لا تَلْمَسـوا الجُدْرانَ كَيْ لا تُجْرَحوا

يستهل الشاعر هذا البيت بصورة رمزية تحمل شحنة عاطفية عالية. فالطرقات هنا ليست مجرد مسارات مادية، بل ترمز إلى رحلة الحياة وما تحمله من مشقّة وآلام. يمنح الشاعر الطرقات صوتًا، وكأنها توجه نصيحة مريرة للمسافرين. تحذرهم من لمس الجدران التي قد تكون رمزًا للحواجز أو التحدّيات التي تواجههم، إذ إن مجرد الاحتكاك بها قد يُسبب الجروح.

وابْكـوا كَثيـرًا حينَ يُبْطِئ سَـعْيُكُم
وامْشـوا على حَدِّ الحَقيقَةِ وانْمَحوا

في هذا البيت يُقرّ الشاعر بإنسانية الألم؛ والبكاء هنا ليسَ ضعفًا، بل هو تعبير عن الإحساس العميق بالعجز أمام بطء المسير أو تعثّر السعي لتحقيق الأهداف. يربط هذه الحال بالسير «على حَدِّ الحَقيقَة»، وهي صورة بالغة العمق، إذ يوحي الحدّ بالخطر، ثمّ بالحافة التي تفصل بين الممكن والمستحيل، بين الواقع والأحلام.

ودَعـوا مَفاتيـحَ الرُّجـوعِ وَراءكُـمْ
لَـنْ تُفْتَحَ الأبْـوابُ حتّى تَسْـمَحوا

في هذا البيت الأخير من القصيدة، تتجّلى دعوة الشاعر إلى القطع مع الماضي. إذ يرمز تعبير «مَفاتيحُ الرُّجوع» إلى التعلّق بالأمان أو بالذكريات. والمستقبل هنا مرهون بالإرادة الداخلية، أما عبارة «لن تُفْتَحَ الأبوابُ حتّى تَسْمَحوا»، فهي تعبير عن المسؤولية الذاتية في تحديد المصير. فيما تشير فكرة «السَّماح» إلى المصالحة مع الذات. بشكل عام، يمزج الشاعر في قصيدته بين الرمزية والوجدانية؛ والطرقات تمثّل رحلتنا في الحياة، وهي دعوة للتأمل في معنى الرحلة أيضًا، والتعامل مع الألم كجزء أصيل من التجربة الإنسانية.

في قصيدته محاولة جادة للوصول إلى الخلاص..

علي دهيني

يبحث عن السّكينة في «جِداريّة السَّهر العَتيق»

لا يجـد الشـاعر ملاذاً آمناً مثـل القصيدة يبثّـه أحزانه ولواعجـه وأسـراره، إذ يمنـح الكـون الشـعري أفقاً ممتداً يتّسـع لمـا يعتمل فـي عوالم الداخـل، ويصغِي لصـوت الذَّات الخفـيّ وأحوال انكسـارها وتشـظِّيها، ويأسـها وأملهـا، ووحدتها وأنسِـها، فيصبـح العالم الشـعري المُتخيَّل فرصة لرأب الصـدع وترميم الروح، ومـداواة الجـراح وتبديد الاغتـراب والوحدة.

د. صباح الدبّي
المغرب

يتحول الليل امتداداً زمنياً طويلاً وغائماً

ومنذ عتبة العنوان، يدعونا الشاعر علي دهيني، إلى هذه الجدارية التي رسمتها صوره الشعرية، وفتحت أفق القراءة على دلالية السهر العتيق الذي استبدّ بالذات الشاعرة، وحرمها أمانها وسكينتها؛ فالسَّهر بما هو حال مُلازِمة مُحيطة بالذَّات تتحول دالًّا رمزيًا يتماهى مع معاني الأرق والمُعاناة والحزن والوحدة، ويصبح السهر العتيق الذي لا يفارقها مدعاةً لألمها وحزنها وتيهها وانكسارها. ويصبح التوق إلى الخلاص منه من أجل غفوة ممنوحة، حلمًا تسعى الذات إلى بلوغه، لتنعم بهدأتها وسكينتها المرجوَّة، وبذلك يتجاوز المنحى الرمزي للسهر في هذا الانبناء الشعري، دلالات الأنس والفرح وتقاسم اللحظات مع الآخر المُفتَرَض في مساحة زمنية يُشكِّلها الليل وامتداده، لينخرط في فردانيته ووحدته، وليجعل الذات رهينة عزلتها ووحدتها وإنصاتها إلى صوتها، وبذلك يتحول الليل امتدادًا زمنيًا طويلًا وغائمًا، لا يمنح الهدوء المرجوّ، ويفتح باب الحزن على مصراعيه، حيث لا صوت غير صوت الذات ورجع صداه، وهي تتمنّى غفوة تخلِّصها من هذه الرتابة ومن هذا الفراغ الجوّاني؛ يقول الشاعر:

لَيْـتَ الغَفا مـن جَفْنِ طِفْلٍ يُشْـتَرى
لَـمَلأْتُ أَصْـدافَ العُيونِ مـن الكَرى
فاللَّيْـلُ لا يَكْفـي لِهَـدْأةِ شـاعِرٍ
غـامَ الـظَّلامُ بمُقلَتَيْـه وأمْطَـرا

هذه الأجواء الغائمة التي ترسمها الظُّلمة، تعلو وتتكاثف فتمطر عتمة مُحيطة بالذات، وبذلك لا يمنح الليل بما هو مساحة زمنية هدوءه وسكينته، بل إنه يتمدَّد ويصبح غير كافٍ وينشر ظلمته، فلا يبقى أمام الذَّات غير هذا التَّوْق الكبير للظفر بالسكينة المرجوَّة، وبالغفوة الطفولية التي لا تعرف معنى السهر والأرق.

إن الذات الشاعرة تستحضر هنا الصفاء الطفولي الذي لم تُخالطه هموم الحياة وتكاليفها، وأحوال الوحشة والوحدة وتتمنّى لو كانت الغفوة السريعة - بوصفها خلاصًا من السهر المُتعِب بسبب ما تُكابدُه- أمرًا مُتاحًا للبيع، لأنفقت ما لديها لتظفر به، وبذلك تتّجه الصور الشعرية في مسار الكشف عن أحوال التَّشظِّي والوحدة والوحشة، وعن هذا التوق الكبير إلى الخلاص والأمل في بلوغ الطمأنينة والأمان.

إن الذات وهي تبحث عن أناها في خضمّ هذه المُكابدة والسهر العتيق، تلملم أحزانها وتجمع شملها، وتُكابر لتمنع دمعها من الانهمار المكشوف، ليظلّ عالقًا في روحها موزَّعًا بين الحجب والكشف، وبذلك تعمل الدوالّ الرمزية المرتبطة بمعاني المعاناة والتشظِّي والحزن (الأحزان، سرّ بقائها، دَمْعي، يَكون، لا يُرى، أنا هاربٌ منّي) على تكثيف هذه الأحوال الصعبة

لا يبقَى أمام الذَّات غير التَّوق الكبير للظفر بالسكينة

التي تحياها الذَّات، وعلى الإبقاء على الباب موارَبًا ليتسلَّل ضوء الخلاص، ويتحقق حلم الأمان ويتفسَّر، يقول:

أنــا واهِــبُ الأحــزانِ ســرَّ بقائِهــا
عَلَّمْــتُ دَمْعــيَ أنْ يكــونَ ولا يُــرى
أنــا هــاربٌ منِّــي وحُلمِــيَ هُدْهُــدٌ
يأتــي بلا بَلْقيــسَ كــي يَتَفَسَّــرا

هذا الحزن المُرابط بما يستدعيه من دمع منهمِر، لا تلبث الذات أن تُقاوِمَه بالصبر والمُكَابَرة؛ فالدمع موجود لكنه غير مرئيّ تحجبه لكي لا يجرفها إلى قاع الألم. ثم إن الهروب من الذَّات هو في حقيقته تمرُّد على تشظِّيها وانكسارها، وتعلُّقٌ بالحلم الذي يَجبُر كسرَها ويضيء عتمَتها، وارتباط الحلم بوصفه أملًا وخلاصًا بالهدهد، إشارة رمزية إلى معاني الأخبار السَّارة المُبهِجة التي تعِد الذات بالسكينة والأمان، وبذلك يصبح التَّناصّ مع قصة الهدهد ونبيّ الله سليمان وبَلقيس، إعادة بناء دالة ترسم عبرها الذات الشاعرة، أفق نجاتها المأمولة من سطوة الحزن والوحشة.

تواصل الذات الشاعرة مقاومتها لأحوال الحزن والوحشة والسهر، غير أنها لا تلبث أن تعود إلى انكسارها ولوعتها وأنينها ووحشتها، ويزيد الفراغ والوحدة في تأجيج هذا التوتر والتشظِّي، تمامًا كما يسرق الزمن من شجر الجسد طراوته، كل ذلك وهي تُكابد لوعة العشق وبُعد المحبوب وتقاوم كلَّما أنهكها الأمر بالجَلد والصبر

بي لَوْعَةُ العُشَّــاقِ .. نَكْهــةُ صَبْرِهِمْ
والعُمْرُ عن جَســدي الطَّريِّ تقشَّــرا
عَبثًــا أحــاولُ أن أضُــمَّ تّوتّــري
فيَزيدُنــي هــذا الفــراغُ تَوتُّــرا
وَهْنًــا بخاصــرةِ المَــكانِ كَشَــمْعة
أبْقى وفــي صَــدْري اللُّهــاثُ تَجَمّرا

تتوزع الذات الشاعرة إذن ما بين الانكسار والنهوض والوحشة والأنس والانطفاء والتوقُّد، وبذلك تؤثِّث الثنائيات الضدِّية هذا البحث الحثيث عن «الأنا» الشاعرة في مقاومة وحشتها ووحدتها وحزنها؛ إنها الأنا المنذورة للبقاء الرمزي ولمعاودة الاخضرار بعد الذبول، تُبقِي على نور شمعتها موقَدًا رغم ما يهدِّده من أهوال الانطفاء والحزن والوحدة، لكنها لا تلبث أن تعود إلى سهرها العتيق الي يُغالب هدأتها وأنسها، وتتأمّل روحها الهشَّة فتجدها رهينة الوحشة يُطاردها الحزن والصمت والسهر أنَّى توجَّهت.

ووَقَفْــتُ أشــرحُ للْمَرايــا وَحْدَتــي
فَرَأيْتُ حُزْنــيَ فاسْــتَدَرْتُ إلى الوَرا
سَــهَري يَتيــمٌ، حِضْــنُ تَخْتــيَ باردٌ
والصَّمْتُ مثلُ الشــوقِ كان مُســيْطرا

هذا المنحى الفرداني الذي يُطوِّق عوالم الذات الشاعرة ويؤثث زمانها ومكانها يُذكِي الإحساس العميق بألم الوحدة، وقتامة الوحشة، بعيدًا من أنس الأحبّة وما يستدعيه وجودهم من اخضرار رمزيّ للروح، ودفء مأمول وأمان مرجوّ، وبذلك كلما تأمّلت الذَّاتُ أناها، وجدتها مفصولة عن أليفها، غارقة في بحر صمتها وعزلتها ووحشتها، إذ تتكاثف الدوالّ الرمزية المُحيلة على هذا الإحساس باليتم الروحي، والصمت المُطبق «حُزني، سَهَري، يَتيم، بارِدٌ، الصَّمْت، مسيطر...»، وتؤثِّث الأفق الصوري للقصيدة

الذات الشاعرة تستحضر الصفاء الطفولي

لا مناص إذن من هذه الأجواء المُعتِمَة الباردة المُوحِشَة إلّا باستحضار روح المحبوب وحضوره البهيّ الذي يؤنس الروح ويضيء عتمة الزمان والمكان، وبذلك تُصبح الإقامة في الماضي الجميل الحافل بالأنس والدفء والفرح، بديلًا للحاضر الموحش البارد المُعتِم، وتصبح الأمكنة التي كانت مأهولة بحضوره المشرق ملاذًا تنعم الذَّات بدفئه.

ويَــداكِ كانَــتْ كالفَراشــاتِ التــي
تَمْحــو جَليــدَ الوَقْــتِ كَيْمــا أَعْبُرا
وَجَعــي مَســائيٌّ وبَيْتــيَ مُوحِــشٌ
والعَنكبــوتُ تَخيــطُ غَيْمًــا أسْــمَرا

إن المحبوب معادل رمزي للدفء والضوء، فهو الأليف الذي يؤنس وحشة الذَّات ويمحو جليد وقتها وحزنها، ويمنحها ما تصبو إليه من رهف اللحظة ونورها، وبذلك يصبح التَّمسُّك بطيف وجوده سبيلًا لتبديد الأجواء الموحشة الباردة، ومَعبَرًا لعوالم الاخضرار والنور، فيداه فراشات بما هي دالّ رمزيّ على وجود الضوء الذي يُنهِي كل ظلمة وعتمة، ومن ثمَّ يصبح غيابه رديفًا للوجع والوحشة والعتمة، ويتحول المكان من دونه مساحةً باردةً مهجورةً لا روح فيها «والعَنْكبوت تَخيطُ غَيْمًا أسمرا». ثم إن البيت بما هو دالّ رمزي يرتبط بمعاني السكينة والأمان والاستقرار، يفقد خاصيته ويتلبَّس بالفراغ والوحشة، فتفقد الذات رغم وجودها فيه ما يمنحه من نعمة مرجوَّة، إنه الغياب والفقدان الذي يتسرَّب إلى الأمكنة والأزمنة، من جرّاء غياب من يبعثون النبض والحياة فيها، من أجل ذلك تفقد الذات أسباب فرحها وتستكين لحزنها ووحشتها ووحدتها، وإن كان الأمل يظل سبيلها لاستعادة هذا النبض الغائب وهذا الأنس المأمول:

وكأنَّ عَيْنَ الدِّفءِ مُسْــرِعَةُ الخُطى
وبِقَلْبــيَ النَّبضاتُ تَمْشــي القَهْقَرى
فَدعــي عَلــيَّ العَتْــمَ يَقْتُلُ نَفْسَــهُ
قَــدَرُ الوحيدِ مع الصَّدى أنْ يَسْــهَرا

هذا الشَّدُّ والجذب الذي تدور الذات في فلكِه، وهي تبحث عن أنسِها وسكينتها يجعلها تُقيم في الما بَيْن، إذ تنكفئ على ألمها ووحدتها، وتُكَابد السَّهر الرتيب الذي يُطفئ شمعة ليلها ويقذفها في مهاوي العتمة «دَعِي العَتْم، قَدَر الوَحيد، القَهْقَرى»، ثم لا تلبث أن تستعيد شغفها وتستحضر طيف أليفها لتُغادِر هذه المهاوِي وترتقِي إلى السكينة والأنس «مع الصَّدى أنْ يسْهرا»، وبذلك تتجه الدوال الرمزية الموزَّعة بين قطبي هذا الما بَيْن في مسار الكشف عن الحيرة التي تحياها الذات الشاعرة، وهي تبحث عن أناها وعن أسرار سكِينتها واطمئنانها .

البَصْرة

محمد السويدي
العراق

على البَصْرَةِ السَّمْراءِ والنَّخْلُ قائمٌ ... مَـرَرْتُ لِكَيْ أَرْتـاحَ مِنْ سَـفَرِ العُمْرِ

وقَدْ أَيْقَظَ الصّيّادُ سِـرْبًا مِنَ القَطا ... لِيُخْبِـرَهُ أنَّ اللّقـاءَ علـى الجِسْـرِ

ولي إخْـوةٌ جـاؤوا عَشـاءً إلى أبي ... وقالوا لهُ يا شَـيْخُ سِـرُّكَ فـي بِئْرِ

هُنا كانَ يَحْكي النّاسُ عَنْ شَيْخِ بَلْدَةٍ ... مَواعِظُـهُ كانَـتْ تُطِلُّ علـى النَّهْرِ

وَقَفْـتُ مَـعَ السّـيّابِ وِقْفَةَ شـاعِرٍ ... فقـالَ: بَنـيَّ الآنَ لا وَقْـتَ لِلشِّـعْرِ

أنـا الآنَ تِمْثالٌ على الشَّـطِّ واقِفٌ ... لِكَيْ يُطْعِـمَ الزُّوّارَ مِنْ شِـعْرِهِ الحُرِّ

فَقُلْـتُ لَـهُ يـا بَـدْرُ أيـنَ وَفيقَةٌ؟ ... وَفيقَـةُ كانَـتْ نُقْطَةً آخِرَ السَّـطْرِ

وقُلْتُ لَـهُ يـا بَـدْرُ.. بَغْـدادُ إنّني ... أُفَتِّـشُ عَنْها في الكَثيرِ مِـنَ الدَّهْرِ

فَقـالَ: صَغيـري إنَّ بَغْدادَ لَـمْ تَعُدْ ... ولا نَـصَّ عَنْ بَغْـدادَ يَصْلُحُ لِلنَّشْـرِ

فَفَتَّشْـتُ فـي كُلِّ الدّواوينِ عَنْ أبي ... فُـراتٍ لِأنَّ النَّهْرَ في شِـعْرِهِ يَجْري

فَقـالَ لِـيَ اللَّيْـلُ الّـذي كانَ ظِلَّهُ: ... صَديقُكَ لَنْ يأتي وقَدْ نامَ في القَبْرِ

تَطايَـرَتِ الأوْراقُ مِنْـهُ جَميعُهـا ... ولَمْ يَبْقَ إلّا نَصُّ «يـا دِجْلَةَ الخَيْرِ»

على البَصْرَةِ السَّمْراءِ والنَّخْلُ قائمٌ ... مَـرَرْتُ لِكَيْ أَرْتـاحَ مِنْ تَعَـبِ العُمْرِ

إليك وَحْدَك

شهاب غانم
الإمارات

إلَيْـكَ وَحْدَكَ أمْضي كُلّمـا اكْتَأبَتْ ... نَفْسـي فَعِنْدكَ كَرْبُ المَرْءِ يَنْفَرِجُ

فـإنَّ ذِكْـرَكَ للأرْواح طَمْأنَـةٌ ... وللقُلـوبِ.. فَفيـه النُّـورُ والأَرَجُ

وفيه ما لَسْـتُ أدْري كَيْفَ أشْـرحُهُ ... الصَّدْرُ يَشْـرحُ بَينًا يَنْجَلي الحَرَجُ

هناكَ في العَتَباتِ الخُضْرِ يَغْمُرُني ... مِنْ فَيْضِكَ الطُّهْرُ والأنْوارُ والسُّـرُجُ

وأشْـرَئِبُّ إلـى الرَّحْمـاتِ تُمْطِرُها ... على عَبيدِكَ والقَـوْمِ الذين نَجُوا

يـا أيُّهـا الشّـاعِرُ الرّاني إلـى أُفُقٍ ... فيهِ النُّجـومُ وفيهِ البَـدْرُ والوَهَجُ

أَضَعْـتَ عُمْرَكَ تَشْـدو لِلأنـامِ وما ... فَتَـىً تَفَهَّم ما فـي القَلْـبِ يَخْتَلِجُ

هُم يَبْحَثون عَنِ السَّطْحِيِّ أكْثرُهم ... لا يَلْحَقون بِمَنِ غاصوا ومَنْ عَرَجوا

يُفَتّشـونَ عَـنِ الآنِـيِّ فـي لَهَـفٍ ... كأنَّـهُ هَـدَفٌ أسْـمى ومُـزْدَوَجُ

وأنْـتَ مِـنْ قلَّـةٍ لا يَأبَهـون بِمـا ... فَـوْقَ التُّـرابِ إذا الأنْـوارُ تَنْبَلِـجُ

يُشَعْشِـعُ الحُـبُّ في أعْماقِهـا وَلَهًا ... وتُنْثَـرُ الحِكَـمُ الغَـرّاءُ والحُجَـجُ

أدِرْ كؤوسَـكَ لَيْسَ الشِّـعْرُ بَهْرَجَةً ... ولَيْـسَ عُجْبًـا بِنَفْـسٍ كُلُّهـا بُعَجُ

إبْحارٌ في ذاكرة السِّندباد

حسين علي رهيف
العراق

حَزَمْتُ هواجِسي وغَدي يَراني … هُنا الإبحارُ في مَوجِ الأغاني
هُنا السَّفَرُ المُحَبَّرُ كانَ عِندي … سؤالي والنَّوى يَتَهامسانِ
على مَتْنِ السَّفينَةِ كانَ شَكّي … هو القُبطانُ في فَوْضى المَكانِ
وكانَ المَوْجُ يشْبِهُ تَمْتَماتي … إذا عَقَدَ الهَوى حَبْلَ اللِّسانِ
وأبْحرنا معي زادُ المَنافي … وفَوْقَ الكَأسِ تَطْفو الدَّمْعَتانِ
مَعي حَلْوى لأطْفالٍ سَيَنْمو … على قَسَماتِهِم نَقْصُ الحَنانِ
مَعي تَمْرٌ كتَقْبيلٍ لأهلٍ … وكانَ مَذاقُهُ طَعْمَ الأمانِ
مَعي أمَلٌ عَجوزٌ مَلَّ سَعْيًا … تُبَعْثِرُ كَفُّهُ خَرَزَ الثَّواني
وكانَ الغَيْمُ يَحْكي عَنْ حَنينٍ … لِيَمْلأَ بالحِكاياتِ الأواني
وقَدْ تَرَكَتْ رياحٌ في الأعالي … على الأبْواقِ ما يَشْكو كِياني
وكَنْزي كالدُّوارِ طَوى بِرأسي … دُروبًا لَمْ تُكَشِّفْها اليَدانِ
بَكفِّي راحَ عَرّافٌ وحَظٌّ … رأيْتُهما لأمرٍ يَشْرَعانِ
وغاصا خَلْفَ حوريّاتِ مَعْنًى … ولاحَقَهُنَّ في القَعْرِ افْتِتاني
فَتَسْحَبُني ابْتِساماتُ الغَواني … وتُطْلِقُني أنا سَهْمَ الرِّهانِ
أصَبْتُ الفَقْدَ، ثُمَّ شَرِبْتُ مُرًّا … تُعتِّقُهُ الصَّبابَةُ في الدِّنانِ
وَصَلْتُ لِوجْهَتي فَرأيْتُ وَجْهي … وفَوْقَ جَبينِهِ عَرَقُ المَعاني
وكانَ على الجَزيرَةِ بَعْضُ صَحْبي … وكُلُّ الهارِبينَ مِنَ الدُّخانِ
وفاجأني كَما لَوْ أنَّ ذاتي … جَزيرَةُ كُلِّ مَنسِيٍّ يُعاني

فتحة في الرّوح

خولة سيك سالم
تونس

بَيْتٌ مِنَ الأحْلامِ كانَ يضُمّنا … ويَدٌ تُسَبِّحُ إذْ تُعِدُّ طَعاما
يَدُها التَّقِيَّةُ قِبْلَةٌ ومآذِنٌ.. … نَجْري لِنَسْبِقَ لِلصّلاةِ إماما
نَجْري وتَسْبِقُنا القَذيفَةُ حِين … نَضْحكُ ساخِرينَ مِنَ الحَياةِ تَماما
ونَعودُ كالأبْطالِ ساعةَ قَصْفِنا … بِرَصاصَتَيْنِ ومِعْطَفٍ ويَتامى..
كُنّا صِغارًا والأنامِلُ هَشَّةٌ … لِنُخيطَ مِنْ دِفءِ اللِّحافِ خِياما
أُخْفي عَنِ المِرْآةِ سِرَّ هَشاشَتي … وأظَلُّ أكْتُمُ في العُيونِ كَلاما
ويَظَلُّ صَوْتُ الطِّفلِ فينا خافِتًا … ونَظَلُّ نَحْلُمُ أنْ نَعودَ كِراما
يا طِفْلَ قَلْبي يا أنينَ مُهاجِرٍ … ذَرَفَ العُيونَ على القَصيدِ وقاما
هَلْ قُلْتَ إنَّكَ لِلْبِلادِ مُهاجِرٌ؟ … أمْ أنَّ قَلْبَكَ في الشَّوارِعِ ناما؟
لأزِقَّةٍ في الرُّوحِ يَكْتُبُ عاشِقٌ … ويَئِزُّ مِنْ فَرْطِ الحَنينِ غَراما..
وغَدًا يَفِرُّ مِنَ المَعاطِفِ صَوْتُها … صَوْتُ الصَّبيَّةِ حينَ تَصْرُخُ ماما
ماما.. وتَعْبُرُ في الفُؤادِ جَنازَةٌ … تَحْتَ الرُّكامِ تَعانَقا وأقاما
في رَعْشَةِ التَّكْوينِ كانَ لِقاؤنَا … ظِلّي وظِلُّكَ في الزِّحامِ نَدامى
شَكَّلْتُ مِنْ حُزْنِ البِلادِ مَزارِعًا … وبَذَرْتُ قَلْبي حِنْطَةً وخُزامى
الآنَ أُطْعِمُ في المَجازِ يَمامَةً … حتّى الحَمامُ على يَدَيَّ تَعامى
ونَسيتُ أنّي في المَحَطَّةِ واقِفٌ … وتَذاكِري بالجَيْبِ تُكْمِلُ عاما
وروائِحُ البُنِّ الشَّقيَّةُ حينَما … تُلْقي على وَجْهِ الحَياةِ سَلامًا
سَيُعيرُكَ الفِنْجانُ بَعْضَ فَصاحَةٍ … لِتَفسِّرَ الألْوانُ فيكَ حُطاما
مَنْ يُقنِعُ الفِنْجانَ أنَّكَ شاعِرٌ … وتَرى الطَّريقَ إلى القِطارِ حَراما

في مجموعته التزام بالإيقاع وعبارات مبتكرة

عبد النبي عبّادي

يبثّ رسائل الأمل والتأمّل «شيئًا فشيئًا»

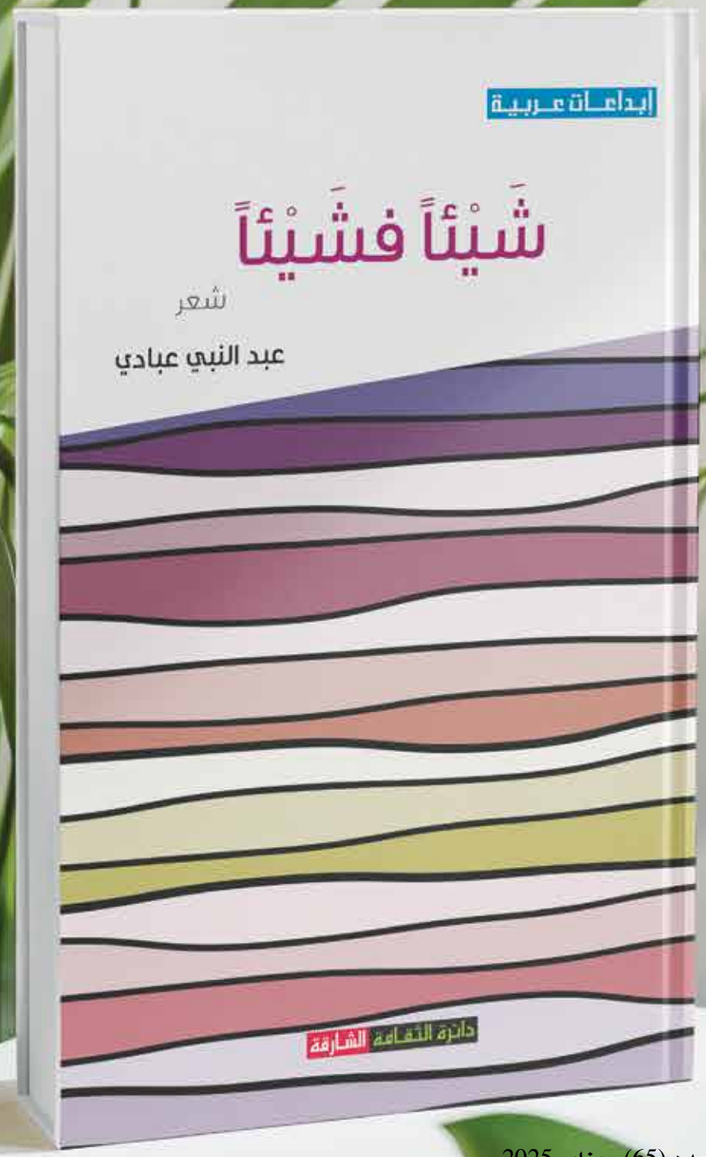

حسن حسين الراعي
سوريا

عبد النبي عبّادي، من مصر، شاعر وناقد وروائي وكاتب مسرحي، حاز كثيرًا من الجوائز المحلية والعربية في الشعر والنقد والمسرح. في حصيلته أربع مجموعات شعرية، وكتابان في الدراسات والنقد، ورواية لليافعين، ونص مسرحيٌّ للطفل، والأخير صدر عن «دائرة الثقافة» في الشارقة، إثر فوزه في «جائزة الشارقة للإبداع العربي» في أدب الطفل. كما أصدرت له الدائرة أخيرًا ضمن مشروع «سلسلة إبداعات عربية» مجموعته الشعرية «شيئًا فشيئًا»، التي نحن بصدد قراءتها في هذه المساحة.

عنوان الديوان يشير إلى الهدوء وعدم التعجّل

يعنون الشاعر مجموعته «شيئًا فشيئًا»، وهو على عفويّته، عنوان غامض مثير للتلقّي ومحفّز للتأويلات المتعددة، قد يشير إلى الهدوء وعدم التعجّل وإمعان النظر، أو إلى السير نحو الهدف برويَّة وحكمة، أو إلى استشراف المستقبل، أو إلى كلّ ذلك معًا. وقد يشير، كذلك، إلى دلالات أخرى غير محدودة يمكن للمتلقّي أن ينتجها كما يملي عليه خياله وأفقه المعرفي، وهذا ما يمنحه طاقة تعبيرية جاذبة تسحب القارئ من قلبه ليدخل عوالم المجموعة.

احتوت المجموعة أربعين نصًا، جاءت مناصفة بين شعر التفعيلة (21 قصيدة)، والشعر العمودي (19 قصيدة)، وسنقف أولًا على البنية الإيقاعية في المجموعة، فبالنظر إليها نجد أن معظم القصائد العمودية جاءت على بحر «الكامل» (12 قصيدة)، كما جاءت ثلاث قصائد على «الوافر» الذي ينتمي مع «الكامل» إلى دائرة المؤتلف؛ فيما جاءت قصيدتان على بحر

ظلَّ ملتزمًا ومحافظًا على التراث العروضي

«البسيط»، ومثلهما على «المتقارب». أما قصائد التفعيلة فنجد أنها اعتمدت التفعيلات الآتية: متفاعلن (6 قصائد)، مفاعلتن (قصيدة واحدة)، مستفعلن (4 قصائد)، فعولن (6 قصائد)، فاعلن (4 قصائد)؛ ونلاحظ في قصائد التفعيلة عمومًا أنها لم تخرج موسيقيًا عن مناخ القصيدة الخليلية إلّا بإسقاط بنية الشطرين في البيت، في حين حافظت على التقفية والرويّ، عبر المقاطع في فضائها الإيقاعي، كما حافظت على الأسلوب اللغوي الذي يكتب به الشاعر قصائد الشطرين، وذلك يحيلنا إلى أمرين في البنية الإيقاعية، الأول موسيقي، وهو أنَّ الشاعر ظلَّ ملتزمًا ومحافظًا على التراث العروضي في الشعر، مستفيدًا من طاقاته التعبيرية التقليدية، والثاني سيكولوجي، وهو أنَّ قصائد المجموعة نضحت غالبًا من مناخ شعوري واحد ممتدّ على الحقبة التي كتبت فيها، من دون أن ننكر عليها تنوعها الفكري والفني.

بالانتقال إلى البنية الفكرية للمجموعة، نجد الكثير من الرسائل التي يريد الشاعر إيصالها، ولعلّ أهم ما يميّزها، أنها نتجت عن لحظات تأملية تغوص في أعماق الذات تارةً، وتحلّق في أبعاد الكون تارةً أخرى، غير أنها رسائل متماهية مع الواقع المحيط، لم تنسلخ عنه، لذلك نلمح فيها كل تناقضات الإنسان الطبيعية.. الحزن والفرح، اليأس والأمل، العجز والطموح، الكره والحب، الموت والحياة.... إلخ.

كما يجدر التنبيه إلى أن البنية الفكرية للمجموعة تدلُّ بوضوح على أفق معرفي واسع الطيف، وعلى البعد الإنساني الذي تسبح في ملكوته ذات الشاعر.

وأنتقل أخيرًا إلى البنية الفنية للمجموعة، وهي التي يمكن القول عنها إنها الفسحة الإبداعية التي صال فيها الشاعر وجال، كما يشاء له الإبداع، حيث تطالعنا جرأته الفنية وتحلّق بنا في فضاءات مبتكرة من حيث الخيال والتصوير والأسلوب والبناء، وسأمثّل على ذلك ببضع وقفات جمالية.

يقول في قصيدة «مكابدات»:

حَقائبُـهُ لـمْ تَعُـدْ تَقْتَفيـه
كنهـرٍ تَمَطّـى فـأرْدى سُـدودَهْ

نستشفّ بوضوح رسالة الأمل عبر رمزية الضوء

يَـدوسُ علـى الشَّـوْكِ لا يَتَّقيـه
فهَـلْ يُمْعِـنُ الحُـزْنَ حتّـى يُجيدَهْ

إنه يؤنسن الحقائب التي لم تعد راغبة في اللحاق بسفره وارتحاله، أو قادرة عليه. ويشبّه نفسه بنهر دمّر كلَّ سدوده، في إشارة إلى المجرى العشوائي الذي يرمز إلى الارتحال من دون وجهة محددة، ثم يضيف إلى ذلك اعتياده على الألم عبر رمزية الشوك الذي يدوسه ولا يتقيه، مستطردًا بسؤال تعجّبي لا ينتظر إجابة، لكنه ينبئنا بأنه أجاد الحزن؛ فيا له تصويرًا بديعًا، وترجمة شعورية متقنة جاءت منسجمة مع أسلوب ينساب بسهولة ممتنعة في القول، ويوصل ما يريده الشاعر من رسائل ومشاعر من غير

البنية الفكرية للمجموعة تدلّل بوضوح على أفق معرفي واسع

تكلّف أو إغماض.

يقول في قصيدة «حارس التناقضات»:

يؤطّـرُ غَيْمـةَ المَعْنـى ويَبْكـي
فَيهطـلُ مـن دُمـوع الوقـت شِـعْرا
فـإن جـاءَ الزّمـانُ بغَيْـر لَـوْن
تَـرى الأيّـامَ فـي كَفَّيْـه حِبْـرا
وإن جـاءَ الزّمـانُ بـكلّ لَـوْن
تَـرى الأيّـامَ فـي كَفَّيْـه بُشْـرى
وإن سـجَنَتْهُ يومًـا مـا شـجونٌ
تَشَـظّى فـي الـكلامِ وصـار حُـرّا

بغض النظر عن تأويل الغائب الذي يتحدث عنه الشاعر، وهو تأويل قابل للتعدد، نلمح في هذه الأبيات بناء دراميًا عاليًا، يترافق مع تصوير وترميز شفيف، يحيط بشخصية البطل في القصيدة، ويعطيه الأبعاد الفكرية والفلسفية والإنسانية التي يريد أن يخبرنا عنها، عبر لغة انسيابية عذبة؛ ولا تفوتني الإشارة إلى الجرأة الفنية في البيت الأخير في التعامل البصري مع كلمة تشظى وكتابتها بشكل متشظٍ «تَ شَ ظّ ى».

ولو تعمّقنا أكثر في تقنيات الشاعر الفنية، فسنجده أجاد الاستفادة من مخزونه المعرفي، عبر تناصات واستدعاءات جاء معظمها من الموروث الإسلامي، كما ورد في قصيدة «هُوية» على سبيل المثال في قوله:

لا إخْـوةٌ حَيْـرى كإخْـوةِ يوسُـف
يَرْعَـوْن ذئبَـكَ كَـيْ تَصيـرَ جَميلا

إنه استدعاء لقصة النبي يوسف، غير أن الشاعر وظف ما استدعى توظيفًا مبتكرًا، وذلك بإضفاء شخصيته على الرموز (إخوة يوسُف – الذّئب – كاف الخطاب)، فالقصيدة بمجملها تخاطب مجهولًا، يمكن تأويله مثلًا بأنَّ الشاعر يخاطب ذاته، التي ألبسها قناع النبي يوسُف، لكنه يخلخل ما هو متعارف عليه في القصة الأصلية، حيث إنّ يوسُف هنا ليس لديه إخوة محتارون في أمره -على الرغم من وجود الحلم الذي ورد في البيت الأول من القصيدة- ومن ثمّ لن يسقطوه في البئر، ولن يتهموا الذئب به، ولن يصبح جميلًا في عين والده، كل ذلك وظف كي يرمز إلى أزمة الهوية (رسالة القصيدة)، ويؤكد ما ذهبنا إليه قوله في نهاية القصيدة:

لاتُعْطِنـي نايًـا يَهُـشُّ صَبابتـي
ويَدُقّ في جَسـدي النَّحيـلِ عَويلا

تناصّات واستدعاءات جاء معظمها من الموروث الإسلامي

بَـلْ أعْطِنـي أرضًا بِحَجْـمِ هزيمتي
وهُويّـةً بِكْـرًا تقـولُ دَمـي لا

ومن المؤكد أن هذا التوظيف يحسب للشاعر، حيث لم يكن الاستدعاء مجانيًا وتقليديًا كما هي الحال في كثير مما نقرأ.

مما يلفت أيضًا في تقنيات الشاعر، التصاعد الدرامي في معظم القصائد، حيث إنها تشحذ المتلقّي «شيئًا فشيئًا»، لتصل به إلى الذروة عند انتهاء الكلام، فتضعه في مناخ قلق، ما يحرّض لديه عمليات التأمل والتفكير والبحث والاكتشاف، خاصة أنه لا ينفكّ يلجأ إلى الترميز الشفيف لما يحيط به.

ختامًا، عبد النبي عبّادي، شاعر مجيد، ذو تجربة تستحق القراءة، وقد حاولت أن أضيء على بعض الجوانب الإبداعية في مجموعته «شَيْئًا فشَيْئًا»؛ وبطبيعة الحال ما زال فيها الكثير ممّا يمكن أن يقال.

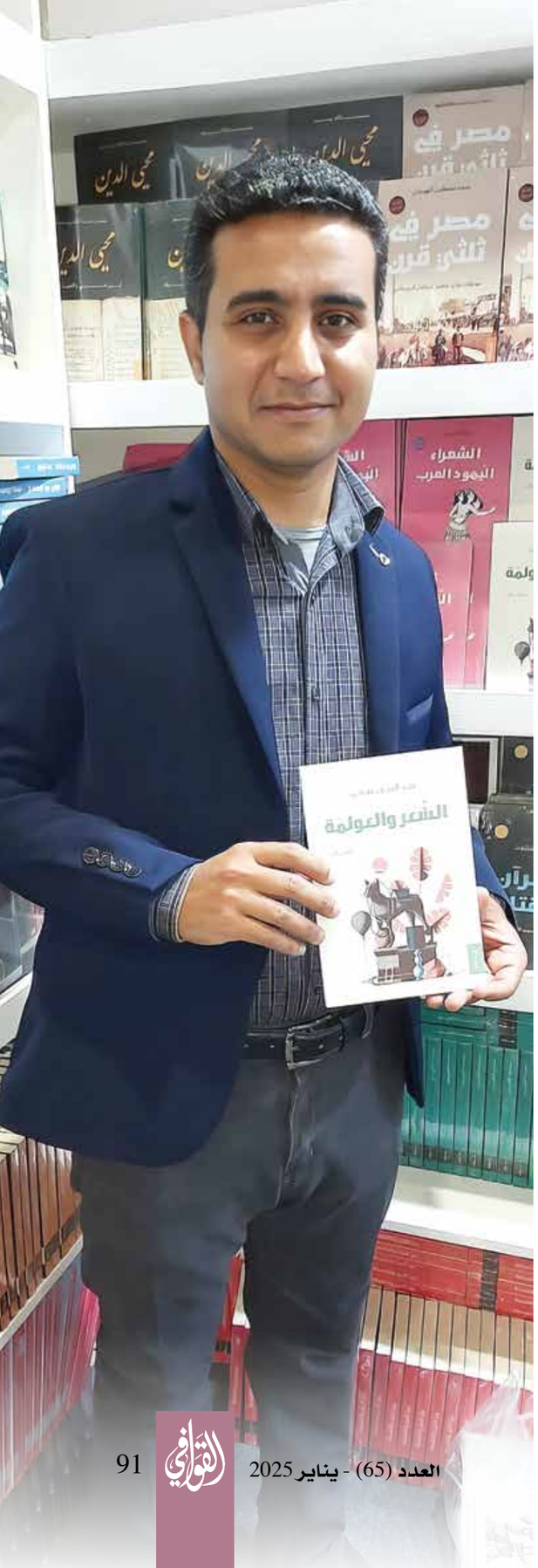

يرتبط بالموهبة والقابلية الفطرية

تحدّي الشعراء..

دافع الامتحان وتأكيد العبقرية

د. سعيد بكّور
المغرب

تحفـل أخبـار الشـعراء بالوقائـع التـي تجمـع بيـن الفائـدة والطرافـة والظـرف، مـن أبرزها ما كان يتعـرض له الشـعراء مـن مواقـف يُمتَحنـون فيهـا، فيكونـون مطالبين بالقـول في الحيـن، وهو ما يشـكّل امتحانًا لشـاعريتهم، وتحديًـا لقدرتهم على الارتجـال الآنـيّ غيـر المؤجّل.

كانت النظرة إلى الشاعر المطبوع مخلوطة بالانبهار

يرتبط تحدّي الشعراء بقضية الطبع والقول على البديهة والارتجال، فالشاعر الذي يكون حاضر البديهة يبهر السامعين ويؤكد عبقريته الشعرية، والعرب تفضّل الشاعر المطبوع الذي يقول في لحظة الامتحان؛ ويصفه ابن قتيبة بقوله «إذا امتُحن لم يتلعثم ولم يَتزحّر»، حيث يأتيه الكلام عفو الخاطر، أو سهوًا رهوًا، على حد تعبير الجاحظ. وهكذا كانت نظرة الناس إلى الشاعر المطبوع، مخلوطة بالانبهار، لأنه يستجيب للتحدّي، ويأتي بالعجيب المبهر في آن.

إن حضور البديهة وحدها في موقف التحدّي، كافٍ لتأكيد العبقرية، فقد يأتي الممتحَن بشعر لا يصل إلى درجة عالية من الجودة، لكنه يكون كافيًا لتأكيد تميّزه؛ وفي هذا الصدد يقول ابن رشيق «والشاعر الحاذق المبرّز إذا صنع على البديهة قُنع منه بالعفو الليّن، والنزر التافه؛ لما فيها من المشقة، وهو في الارتجال أعذر». (العُمدة لابن رشيق 1\195).

في سياق التحدّي والامتحان يرد مصطلح الإجازة، ومعناه أن يكمل الشاعر شطرًا يضعه الممتحِن، ويُطلب منه أن يأتي بالقسيم الثاني مراعيًا مبدأ التناسب، ويُشترط زيادة على ذلك بأن يقع على ما في نفس الممتحِن وخاطره، وفي هذا الصدد نورد قصة شاعر اسمه الجمّاز، مع هارون الرشيد وقال: اجتمع الشعراء بباب الرشيد، فأذن لهم، فقال: من يجيز هذا القسيم وله حكمه؟ فقالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: الملك لله وحده،

صعوبة الامتحان تكمن في إمكانية الفشل

فقال الجمّاز:

ولِلْخَليفةِ بَعْدَهُ
ولِلْمُحبِّ إذا ما
حِبيبُه باتَ عِنْدَهُ

فقال: أحسنتَ، وأتيتَ على ما في نفسي. وأمر له بعشرة آلاف درهم». (العُمدة، ج1\192).

لقد نجح الجمّاز في تلقّف المعنى والتقاط الفكرة، وعرف قصد الخليفة، وبنى عليه مدحه، وعدّد مظاهر التملّك مرتّبًا إياها بحسب ما يريد الممدوح، خاتمًا كلامه بغزل لطيف خفيف، يدخل السرور على الخليفة الذي لم يكن له الوقت ليسمع كل الشعراء. رغم ضيق الوقت وصعوبة موقف الامتحان كان الجمّاز حاضر البديهة، وهو ما جعله يتفوق على الحاضرين من الشعراء.

لم تكن العبقرية التي ترتبط بأبي تمّام، محض ادّعاء، بل كانت حقيقة تؤكدها الشواهد، فهو الرئيس الأكبر، بحسب وصف البُحتري، وتؤكد ذلك قصته مع الفيلسوف الكندي، فقد مدح أبو تمّام، ابن المعتصم بقوله الشهير:

إقـدامُ عَمْـرٍو فـي سَـماحَةِ حاتم
فـي حِلْـمِ أَحْنَـفَ فـي ذَكاءِ إياس

فقال له الكِنْدي: ما صنعت شيئًا، شبّهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب؛ ومن هؤلاء الذين ذكرت؟ وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمّام يسيرًا، وقال:

لا تُنْكـروا ضَرْبـي لَـهُ مَـنْ دُونَـه
مَـثَلاً شَـرُودًا فـي النَّـدى والبـاسِ
فاللـهُ قَـدْ ضَـرَبَ الأقَـلَّ لنـورِه
مَـثَلاً مِـنَ المِشْـكاةِ والنِّبْـراس

(العمدة، ج1\192).

لقد كانت ملاحظة الكندي محرجة لأبي تمّام، ففيها ما فيها من قصد إلى التبكيت، لكن فطنة أبي تمّام وذكاءه تضافرا، فاستدعى معرفته وبحث عمّا يُبعد عنه تهمة الإساءة غير المقصودة لابن الخليفة، لقد كان مدفوعًا بردّ التهمة فكان أن وجد في آية النور ما يحاجج به، ويخرجه من الدائرة التي وضعه فيها الكندي عن سبق إصرار.

حفظت لنا كتب الأخبار قصة تدخل في باب الامتحان، ويمكن أن نسلكها في باب الإبداع تحت الطلب الذي يحدّد شروطه السائل، فقد اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النميري، في أمير المؤمنين الرشيد:

الوصف كما هو معلوم ينبغي ألّا يكون عامًا

إنَّ المَـكارمَ والمَعْـروفَ أَوْدِيَـةٌ
أَحَلَّـكَ اللَـهُ منْهـا حَيْـثُ تَجْتَمِـعُ
إذا رَفَعْـتَ امْـرأً فاللـهُ رافِعُـهُ
ومَـنْ وضَعْـتَ مِـنَ الأَقْـوام مُتَّضِـعُ
مَنْ لَـمْ يَكُـنْ بأميـرِ اللـه مُعْتَصِمًا
فَلَيْـسَ بالصَّلَـواتِ الخَمْـسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَـفَ الغَيْثُ لَـمْ تُخْلف مَخايلُهُ
أَو ضـاقَ أَمْـرٌ ذَكَرنـاهُ فَيتَّسِـعُ

فليدخل. فقال محمد بن وهب: فينا من يقول خيرًا منه، وأنشد:

ثَلاثَـةٌ تُشْـرِقُ الدُّنْيـا ببَهْجَتِهـمْ
شَمْسُ الضُّحى وأبو إسـحاقَ والقَمَرُ
يَحْكـي أفاعيلَـهُ فـي كُلِّ نائلَـة
الغَيْثُ واللَّيْـثُ والصَّمْصامَـةُ الذِّكَرُ

فأمر بإدخاله وأحسن صلته. (العُمدة ، ج1\139-138).

من أطرف ما جاء في التحدّي ما حدث للفرزدق مع جرير

إن قول محمد بن وهب «فينا من يقول خيرًا منه»، تصريح بقبول التحدّي، ومن شأن هذا التصريح أن يفتح أفق انتظار الممتحِن على توقّع سماع قولٍ بديع، يتجاوز الكلام المعروض نموذجًا للمعارضة أو المنافسة. والظاهر أن الشاعر فطن إلى مراد الخليفة، فكان مدحه له جانحًا إلى الغلوّ الذي يدخل السرور في القلب، ويمنح الخيال فسحة نفسية غايتها الانتشاء؛ وكفى بالبيت الأخير دليلًا على براعة الشاعر في عكس التشبيه، والمبالغة في تصوير قوة الممدوح. إن صعوبة الامتحان في هذا الموقف تكمن في إمكانية الإخفاق، حيث يكون الجواب مغامرة يخوضها الشاعر، فإمّا أن ترفعه إلى مقام عالٍ، أو تجعله عرضة للتهكّم والسخرية.

وللحسين بن مطير، قصة طريفة، إذ وجد نفسه في قلب وضعية تحدٍّ لا يُحسد عليها، فعبقريته محلّ امتحان، ولا سبيل إلى التراجع؛ جاء في مقدمة «الشعر والشعراء»: «وقال الرّياشيّ: حدّثني أبو العالية عن أبي عمران المخزوميّ، قال: أتيت مع أبي واليًا على المدينة من قريش، وعنده ابن مطير، وإذا مطر جوْد، فقال له الوالي: صفه، فقال: دعني حتى أُشرف وأنظر، فأشرف ونظر، ثمّ نزل فقال:

كَثُـرَتْ لِكَثْـرةِ قَطْـرِه أَطْبـاؤُهُ
فـإذا تَحَلَّـبَ فاضَـتِ الأَطْبـاءُ
وكَجَـوْفِ ضُرَّتِـهِ الّتـي فـي جَوْفِه
جَـوْفُ السَّـماءِ سَـبَحْلَةٌ جَوْفـاءُ
ولَـهُ رَبـابٌ هَيْـدَبٌ لِرَفيفِـه
قَبْـلَ التَّبَغُّـقِ دِيمَـةٌ وَطْفـاءُ

قال أبو محمد: وهذا الشعر، مع إسراعه فيه كما ترى، كثير الوشي لطيف المعاني». (الشِّعْرُ والشُّعَراء لابن قتيبة ، ج1\91).

يبرز تعليق ابن قتيبة نجاح ابن مطير في التحدّي الذي فُوجئَ به، من دون استعداد أو علم مسبق، وقد كان ذكيًا في أخذ الإذن لرؤية المطر، لتحديد طبيعة الوصف، واختيار المعجم المناسب والصور الدّالة؛ فالوصف كما هو معلوم ينبغي ألا يكون عامًا، بل ينبغي أن يكون دقيقًا يبرز الموصوف كما هو، وقد نجح الحسين بن مطير، في وصف المطر الغزير بالنعوت التي تصوّر كثرته، فجُمع له مع الإسراع جودة الشعر لفظًا ومعنىً، فكان ذلك تأكيد عبقرية تامّة وثبات نفسي لا يتأثر بمفاجأة الامتحان والتحدّي.

ومن أطرف ما جاء في باب التحدّي، ما حدث للفرزدق، مع خصمه اللدود جرير، ومعلوم ما كان بينهما من نقائض شكّلت الظاهرة الشعرية

يرتبط تحدّي الشعراء بقضية الطبع والقول على البديهة

الأشهر، بعد المعلّقات؛ وفي النقائض يقول الشاعر الأول شعرًا فيه هجاء وفخر، ويكون الآخر مطالبًا بالردّ والتفوّق، وقد صنع الفرزدق شعرًا يقول فيه:

فإنّـي أنـا المَـوْتُ الّذي هـو ذاهِبٌ
بِنَفْسِـكَ، فَانْظُرْ كَيْفَ أنْـتَ مُحاوِلُهْ

وحلف بالطّلاق، أن جريرًا لا يغلبه فيه، فكان جرير يتمرّغ في الرَّمْضاء ويقول: أنا أبو حَزرة، حتى قال:

أنا الدَّهْرُ يَفْنى المَـوْتُ والدَّهْرُ خالدٌ
فَجِئْنِـي بِمِثْـلِ الدَّهْرِ شَـيئًا يُطَاوِلُهْ

لقد ظنّ الفرزدق أنه حاصر جريرًا وأعجزه، فقد شبه نفسه بالموت، ولا أحد يفلت من الموت، وساق تحدّيه في أسلوب أمر يفيد التعجيز «فانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحاوِلُهُ»، مع ما فيه من السخرية اللّاذعة. ولعل الفرزدق نسي أنه أمام خصم سريع الخاطر حاضر البديهة. وقصته مع الراعي النّميري مشهورة تحكي عن قوته في الهجاء، وقد جاء جواب جرير في قالب خبري ابتدائي لا يستدعي تأكيدًا، كما فعل الفرزدق، فهو ليس بحاجة إلى تأكيد أمر مسلّم به، فالدهر وهو الزمن المطلق يفوق الموت في القهر، وكان جوابه عن تعجيز الفرزدق بتعجيز أكبر ساقه في قالب أمري ساخر (فَجِئْنِي بِمِثْلِ الدَّهْرِ شيئًا يُطَاوِلُهْ)، وأنّى للفرزدق أن يأتي بمثل الدهر؛ إنه الإفحام في أبدع تجلياته.

إن تمرّغ جرير في الرّمْضاء يبرز أنه أخذ الأمر بجدية، فشاعريته على المحكّ، وهو الشاعر الذي لم يدخل في منافسة مع خصومة إلا خرج منها منتصرًا، وقد كان جوابه دالًّا على براعته وعبقريته الشعرية التي تتلقّف فكرة الخصم، وتنقضها نقضًا بسرعة وإحكام وإجادة تفضي إلى التفوق.

إن تفكير الشاعر عند الامتحان والتحدّي يدلّ على عبقري ناقص، كما أشار إلى ذلك جمال الدين بن الشيخ، لذلك عدَّ الشاعر الذي لا يتلعثم لحظة الامتحان، أعلى مرتبة من الذي يفكّر. ولعل الأمر يرتبط أكثر بالموهبة والقابلية الفطرية المحقّقة لسرعة الاستجابة، فضلًا عن عوامل نفسية وذهنية تميّز شاعرًا من آخر، هذا دون الحديث عن التمكّن من أدوات القول الشعري ومعادِلِه، وامتلاك الذخيرة الواسعة.

سَماءٌ لِقمرِ الغِناء

لطيفة حسّاني
الجزائر

وَحْـدي أَرى وأُخاتِـلُ التَّـأْويلا ... طَيْفًـا يُقيمُ علـى الظُّنونِ رَحيلا
شَـذَّبْتُ تاريـخَ الغِنـاءِ بِأَيْكَتـي ... وبَتَـرْتُ مِـنْ أغْصانِهـا مـا قِـيلا
طِيـنٌ يُتَمْتِـمُ بالطّلـولِ مُحاورًا ... كهفًـا تُلَمِّعُـهُ السِّـنينُ الأولـى
بـي دَمْـعُ أَنْدَلُـسٍ كَأَنَّ مَواجِدي ... كانَـتْ لِجَيْشِ الفاتِحيـنَ خُيولا
أُنْثـى مُمَوَّهَـةٌ بِنَجْـمٍ دامِـعٍ ... خَلَـعَ الدَّليـلَ لِيَغْتَـدي مَدْلولا
وافْتَـرَّ بي قَلَـقُ الذُّبابَـةِ قَبْلَ أنْ ... يَفِـدَ السّـؤالُ ويَفْتَـحَ المَجْهولا
الرّيـحُ حاضِنَـةُ الكَمـانِ بِبَيْتِمِـهِ ... يَلِـجُ الجَـوى مُتَفَـرِّدًا مَأْهـولا
بـي طِفْلَـةٌ لِلآنَ أَقْفـو طَيْشَـها ... لِأَفُـكَّ فيهـا حُلْمِـيَ المَغْلـولا
لِأُعيدَ كُلَّ شَـرائطي وعَرائسـي ... مِنْهـا ولَكِـنْ مـا وَجَـدْتُ سَـبيلا
راقَصْـتُ لَيْـلَ مَواجِـدي صُوفِيَّةً ... كانَـتْ بِشَـمْعِ الأمْنِيـاتِ فَتـيلا
وعَرَجْتُ مِنْ طيني القَديمِ بَديلةً ... صَعَـدَتْ إلـى أُفُقِ البَيـاضِ بَتولا
فـي الـرُّوحِ ثَـمَّ حَمامَةٌ مَنْسِـيَّةٌ ... ضَلَّتْ علـى صَمْتي الطّويلِ هَديلا
مِنْ واحَـةِ الأوراسِ جِئْتُ قَصيدَةً ... بَلَغَـتْ مَجَـرّاتِ الفَـرادَةِ طُـولا
لي ظِلُّ دَرْويـشِ القَصيدِ مَديحُهُ ... العالـي يُرَمِّـمُ بالخُلـودِ طُلـولا
لِـصَلاةِ أُمّـي فـي أَواخِـرِ لَيْلِهـا ... دَمْـعٌ يُضـيءُ بِدَرْبِـيَ المَجْهولا
عَيْنـانِ تَخْتَصِرانِ تاريـخَ الغَمام ... بِبَبْـسِ عُمْـري خُضْـرَةً وهُطولا
مَرْثِيَّةُ الشَّـجَرِ القَديـمِ جَديدةٌ ... نَضَـتِ الشُّـهورَ لِتَرْتَـدي أَيْلـولا
إنّي اخْتَلَسْتُ مِنَ الشُّـرودِ أَصابِعًا ... قَصَّـرْتُ فيهـا صَحْوَتـي لِتَطولا

رَصْد

سيد عبد الرازق
مصر

يَسـتنبئونَكَ قُل: ضاعَـتْ نُبوءاتي ... ماذا عليَّ من الماضِـي.. من الآتي؟
لا خَيْرَ في الرَّمْلِ إنْ ضاقتْ جوانبُهُ ... عن دمعـةِ الطِّفلِ في ميـراثِ أنَّاتي
أنـا الّـذي أبصـرَ الباكُونَ بـي وَتَرًا ... أنـا الّذي.. لم أعد أُغوي فَرَاشـاتي
علَّمْـتُ كل جنـاحٍ صِدتُـهُ بيـدي ... أنَّ الفِخـاخَ وليـداتُ انْتِهـازاتِ
عنَّفتُ قَلْبي طويلاً.. كيـفَ أَرْدَعُهُ ... عَن رَمْيةِ النَّردِ في وَجْهِ احْتِمالاتي
هَذي ذراعـي وقدْ أشـعلتُها حَطبًا ... كـيْ لا أجـرِّدَ أغْصـانَ النّباتـاتِ
سـاقي عَمودٌ مِـنَ البازلـتِ أزرعُهُ ... كَي تُنْبـتَ الأرضُ إزميلَ اعْتِرافاتي
كنتُ البَسيطَ الّذي في الحَرْبِ تَحْمِلُهُ ... أمٌّ، ويَبْحـثُ عـن دِرْعِ الأُبُـوَّاتِ
عَنهـا تواتَـرتِ الأخْبـارُ أنَّ فتـىً ... من نُطْفـةِ الثَّلجِ لَمْ يَهْوَ الشِّـتاءاتِ
فقامَ يَرفـلُ نَحْو الشَّـمْسِ مُعْتقِدًا ... في حِكْمةِ الضِّدِّ.. في نَسْـجِ العَلاقاتِ
أنَّ الفُضولَ الّذي في الشَّمْسِ يَحْرُسُهُ ... حتّى يؤانِسَـها فـي حَرِّهـا العاتي
وأنَّ طاولـةً فـي الأفـقِ تَرْقُبُـهُ ... حتَّـى يُحاجِـجَ نِيـرانَ القَناعـاتِ
مُحَـمّلاً بسـؤالٍ حيـن دَبَّجَـهُ ... نقَّـاهُ مِـن مُغْريـاتِ الاقْتِباسـاتِ
الرِّيـحُ تَنْحِتُـهُ.. والأرضُ تَشـرَبُهُ ... ولا يـزالُ رَهينًـا لِلمَسـافاتِ
خَـطُّ التّصاعُـدِ مَرصودٌ، وسُـلَّمُهُ ... في قَبْضةِ الغَيْـبِ مَجْهولُ النِّهاياتِ
إنَّ السَّـعيدَ لَـهُ فـي غَيـرِهِ عِظَـةٌ ... وفـي التَجـارِبِ أسْـرارُ النُّبـوءاتِ

دهشة

صقر عليشي
سوريا

أَرَدْتَ جَوابًا ما أتاكَ جَوابُ ... تَمَشَّ الهُوَيْنى... فالطَّريقُ ضَبابُ
وللرّيحِ في هَذي القَصيدَةِ مَلْعَبٌ ... وللشَّمْسِ فيها جِيئَةٌ وذَهابُ
وأَلْقى أَصيلٌ شالَهُ فَوْقَ بَوْحِنا ... ووَرْدَ خَدًّا لِلْمَجازِ دَعابُ
وحَطَّتْ على غُصْنِ البَلاغةِ دَهْشَةٌ ... وطارَ إلى أعْلى الكَلامِ سَحابُ
أهابُ جَمالاً فالتّا مِنْ قَصيدَةٍ ... وأمّا سِوى هَذا فَلَسْتُ أَهابُ
وتَرْسُم أخْطائي البَريئاتُ عالَمي ... فَيُغْلَقُ لي بابٌ.. ويُفْتَحُ بابُ
ويُغْرِقُني شِبْرُ الحَنينِ أنا الّذي ... تَهونُ لَهُ الأعْماقُ وهي عُبابُ
وطَيْشٌ رَشيقٌ لي على كُلِّ مَفْرَقٍ ... ولي عِنْدَ أَسْوارِ اليَقينِ شِغابُ
تَحَرَّشْتُ.. حتّى الجَوْهَرُ الفَرْدُ كانَ لي ... عِراكٌ على أَعْتابِهِ وغِلابُ
ولَمْ أَتَخَلّفْ في الهَوى عَنْ سَرابِهِ ... سَرابُ الهَوى لي غايَةٌ وطِلابُ
وكُنّا سَألْنا العاشِقينَ عَنِ الهَوى ... فَما عَرَفَ العُشّاقُ كَيْفَ أجابوا
تُمارسُ مِنْ فَوْقي السَّماواتُ زُرْقَةً ... وتَنْهَضُ بالعالي رُبىً وهِضابُ
له «قَزَحٌ» قَوْسٌ هُنا.. ومَلاعِبٌ ... فِساحٌ ورَكْضٌ حَوْلَها ووِثابُ
تُثيرُ العُلا فينا جِبالٌ عَصِيَّةٌ ... على هامِها جُهْمُ الغُيومِ عِصابُ
وما كانَ ذاكَ الغَيْمُ إلّا مِنَصَّةً ... ليُطْلَقَ مِنْها في البَريقِ خِطابُ
وما جِئْتُ لِلدُّنْيا لِأَخْرجَ عابرًا ... أَتَيْتُ لِتَعْلو لِلجَمالِ قِبابُ

وَجهُ المَدينة

أحمد علي الفاخري
ليبيا

طوفي دُروبَ العاشقينَ ومَهِّدي ... عَيْناكِ مِنْ حَوْلي رُؤايَ ومَقْصِدي
وغِناؤكِ الْمَكْسورُ يَعْكِسُ عالَمًا ... مُتَصَدِّعًا بِصَدى الرَّصاصِ الأَسْوَدِ
مُرِّي على الأَحْياءِ كَمْ مِنْ مِحْنَةٍ ... مِنْ مُقْلَتَيْكِ سَكَبْتِها لَمْ تُنْشِدي
ودَمُ الشَّوارِعِ لَمْ يُغَيِّرْ لَوْنَهُ ... حُزْنًا عَلَى الشُّهَداءِ أَوْ لَمْ يَشْهَدِ
غَنِّي فَصَوْتُكِ لَنْ يَكُونَ مُرَدِّدًا ... ما يَسْمَعُونَ وشاهِدًا فِي الْمَشْهَدِ
صُوغِي تَعابِيرَ الْمَدِينَةِ كُلِّها ... وَجْهُ الْمَدِينَةِ بانْفِعالِكِ يَقْتَدِي
طُوفِي بِأَحْلامِ الشَّوارِعِ كُلَّما ... نامَتْ خَطايا الضَّائِعِينَ.. تَفَقَّدِي
ثُمَّ ارْسُمِي في الأُفْقِ ضَوْءَ صَلاتِنا ... لا ضَوْءَ إلّاهُ لِيُشْرِقَ فِي الْغَدِ
أَنا مُؤْمِنٌ بِزُحامِها.. كُلُّ الْخُطَى ... بِمَشِيئَةٍ سَتَضِلُّ ثُمَّ سَتَهْتَدِي
كُلُّ الْمَيادِينِ الشَّرِيدَةِ بَيْنَ ... أَرْصِفَةِ الرُّجُوعِ تَحُفُّها بِتَوَدُّدِ
وَعْدُ الْبِناياتِ الْغَزِيرَةِ قاطِعٌ ... وَعْدُ الْحَياةِ إِلَى انْتِشاءِ الْمَوْلِدِ
تُمْلِي السَّماءُ لَها الْمَسافَةَ والرُّؤَى ... ويُجِيبُها التَّارِيخُ «فَلْتَتَفَرَّدِي»
سَتَبُوحُ لِلْبَحْرِ الْقَدِيمِ بِهَمِّها ... ويَظَلُّ يُنْشِدُها الْهَوى بِتَجَدُّدِ
هَلْ كانَ صَوْتُكِ يا حَبِيبَةُ خاشِعًا ؟ ... فاللَّيْلُ مُبْتَهِلٌ كَقَلْبِي الْمُجْهَدِ
لَوْ أَنْشَدَتْ شَفَتاكِ آخِرَ نَغْمَةٍ ... لَوَجَدْتُ أَنَّ الْحُبَّ غَيْرُ مُحَدَّدِ
قَدْ باتَ وَجْهُكِ مِثْلَ وَجْهِ مَدِينَتِي ... أَحْسَسْتُهُ مُنْذُ انْتَحَبْتِ عَلى يَدِي
طُوفِي دُروبَ العاشِقِينَ ومَهِّدِي ... عَيْناكِ مِنْ حَوْلِي رُؤايَ ومَقْصِدِي

لقاء عابر

زيد صالح
العراق

شاهَدتُهُ بالأَمْسِ يَنْدُبُ غُرْبَتَهْ ... يَبْكي، وأدْمُعُهُ حَصىً مُتَفَتِّتَهْ
مُذْ عُطِّلَتْ في الرّيحِ كُلُّ حَواسِهِ ... أَرْخى يَدَيْهِ على الجِهاتِ المُثْبَتَهْ
يَتَحَسَّسُ الطُّرقاتِ حينَ تَخونُهُ ... وخُطاهُ مِثْلُ الذِّكْرَياتِ مُشَتَّتَهْ
لَمْ يَنْتَبِهْ لِلرّاحلينَ إلى الصّدى ... كَيفَ الغِيابُ بِهِم يُجسّدُ فِكْرَتَهْ
لَمْ يَنْتَبِهْ لِلوَقْتِ كَيْفَ تَوَقَّفَتْ ... ساعاتُهُ حَيْثُ الدّقائقُ مَيِّتَهْ
مُتَوَجِّسٌ، قَلَقُ الحِجارَةِ مَسَّهُ ... لَمّا اصْطَفَتْهُ يَدُ الزّمانِ لِتَنْحَتَهْ
ضاقَتْ بِهِ الدُّنْيا فَكُلُّ جِراحِهِ ... أَبَدِيَّةٌ، ورُؤى الحَياةِ مُؤَقَّتَهْ
مِنْ حَبْلِهِ السِّرِّيِّ شُدَّ إلى الأَسى ... فَتَصيحُ كُلُّ مُصيبةٍ: «لَنْ أُفْلِتَهْ»
وبِثَوْبِهِ الحَجَرِيِّ خَبَّأَ حُزْنَهُ ... شَجَرًا كَثيفًا لَمْ يُفارِقْ سُتْرَتَهْ
مَنَحَ المَجازَ فَمًا، وكانَ سُطوعُهُ ... مَطَرًا يُذَوِّبُ بالأغاني دَمْعَتَهْ
هُوَ واثِقٌ بالضَّوْءِ نَصْرًا حِينَما ... أَخْفى الظَّلاميُّون يَوْمًا نَجْمَتَهْ
بُعِثَتْ إلى أمْواجِ دِجْلَةَ روحُهُ ... تُمْلي على الغَرْقى هُنالِكَ حِكْمَتَهْ:
«المَوْتُ لِلإنْسانِ مَحْضُ كِنايَةٍ ... والماءُ ليسَ حَقيقةً كَيْ أَنْعَتَهْ»
في الميتَةِ الأولى تَغَيَّرَ شَكْلُهُ ... حَيْثُ الرُّخامُ الصَّلْدُ أصْبَحَ جُثَّتَهْ
فاخْتارَ مَوْتًا آخَرًا لَكِنَّهُ ... لَمْ يَلْقَ حتّى في الفَناءِ هُوِيَّتَهْ
هذا الذي أَغْرى الكَتائبَ صَوْتُهُ ... قَلَمُ المؤلِّفِ في الرّوايَةِ أَسْكَتَهْ

عائدٌ إلى صورته الأولى

علي مصطفى لون
نيجيريا

مـا بَيْـنَ صَحْـرَاءِ صَمْتـي واخْضِـرارِ فَمِي ... قَصيـدةٌ تَرْقُـبُ المـيلادَ فـي الـوَرَقِ
متَـى سـأقْبِضُ أسْـرابَ الـكَلامِ ... وأحـداقُ الشّـبابيكِ لـم تَبْتَـلَّ بالشَّـفَقِ
هُنـاكَ فـي الكـوخِ أطْفـالٌ وسَـيِّدَةٌ ... أكُفُّهـا تَخْبِـزُ الأقْمـارَ مـنْ رَمَقِـي
تقـولُ لـي -والخُزامـى اخْتارني قَـدَرًا- ... بـأنَّ فـي الحَقْـلِ مـا يَحْتَـارُ مـن عَبَقي
وأنّ لـي فـي أقاصـي البَحْـرِ مـا جَعـلَ ... الطّوفـانَ يَرْحـلُ عَـنْ نُـوحٍ إلـى الغَـرَقِ
وأنَّ لـي أُغْنِيـاتٍ تَقْتَفِـي أَثَـرًا ... لِلْجاثِميـنَ علـى بوَّابَـةِ الرَّهَـقِ
وأنّ لـي سُـنْبُلاتٍ جئـتُ أَنْثُرُهـا ... لِـكلِّ مَـنْ ضيَّعُـوا الأحْلامَ فـي الطُّـرُقِ
تِلـكَ السّـماواتُ فـي عَيْنـي أُهَنْدِسُـها ... وزُرْقَـةً زُرْقَـةً تَنْـداحُ فـي أُفُقـي
أُصْغـي لِقَلْـبِ نَبِـيٍّ كانَ مُتَّكئًـا ... فـي الـرّوحِ لَـيْلاً يُربِّـي الوَحْيَ فـي قَلَقِي
وأَمْتَطِـي سَـفَرًا لِلْمـاوَراءِ لِكَـيْ ... أكتَـظَّ بـي خـارِجَ المَعْنـى بِلا نَسَـقِ
فَلا أعـودُ إلـى التُّفـاحِ مُنْبَهِـرًا ... ولا أُجَـرِّرُ هابِـيلاً إلـى نَزَقِـي
ما زِلْـتُ أَسْـكُبُ هـذا الزَّيْتَ مِنْ جَسَـدي ... حتـى يَشِـعَّ دَمُ المِصْبـاحِ فـي الغَسَـقِ

ضوءٌ من الشعر

يتجدّدُ عرسُ القصيدةِ في كلِّ عامٍ، وتعلنُ شارقةُ الشعرِ عَنْ فرحَةٍ في المدينةِ، فالبَيْتُ.. بَيْتُ القصيدةِ، حُلُمُ المحبّينَ للعَزفِ، والباحثينَ عنِ الضّوْءِ فوقَ مَنابرِ هذا التَجمّعِ، يَفتحُ أبوابَهُ، وتُطلُّ على الحُبِّ أفلاكُهُ ومنابِرُهُ، طيلةَ المِهْرجانِ، فهذا المَكانُ المُهَيّأ للعزفِ يَستقبلُ الحالمينَ بأجملِ ما قَدْ يُلوِّنُهُ القَولُ من مُفرداتٍ تطوفُ على شارعٍ من ضياءٍ، فتصبحُ مثلَ الفوانيسِ تَصْحو على حائطٍ من تُراثٍ، ومِنْ صُورٍ تتصاعدُ مثلَ الفَراشاتِ نَحْو سماءِ الخيالِ، لتَعْبرَ فوقَ الغَمام مُحمّلةً بالأريجِ من المَطَرِ المُتساقِطِ فَوق الرّؤى؛ ومحمّلةً بالندى. فالنّفوسُ المحبّةُ للشعرِ تجلسُ دومًا أمامَ السماء، تراقبُ غَيْمةَ شعرٍ تَهُزّ المواجدَ بالعَزفِ، مثلَ السَّحابَةِ حين تُطلُّ على الطينِ، تُخرجُهُ من رَتابَتِه، وتُجدّدُ فيه الحياةَ، لتخضرَّ في الأرضِ أشجارُها، وتزيلَ عنِ الرملِ ثَوْبَ الشّحوبِ، فتقلبَ أغصانَها فَرحَةً، ثمّ يقبلُ سِرْبُ العَصافير كي يتغنّى بلحنٍ بديعٍ، يُميّل ما تحته من غصونٍ، وتأتي الرياحُ لتعزِفَ لحنًا مع اللّحن، والأرضُ تشهدُ هذا البهاءَ، لتُخرجَ من بطنِها ثَمَرًا يانعًا، يأكلُ الناسُ والطيرُ منه؛ فهذا اللقاءُ الذي يحتفي بالقصيدةِ، مَرَّتْ عليه الشهورُ سراعًا، كأنَّ قلوبَ المحبّينَ للشعرِ، كانت تَعُدّ لياليه عَدًّا، كشيخٍ يُسبّحُ، فهو يَعُدّ على يَدِهِ خَرَزًا حينما يتبتَّلُ وهو يطيلُ الجلوسَ بِحِضن المصلّى.

وشارقةُ الشّعرِ إذ تتزيّنُ بالشّعرِ، تفتحُ مِضْمارَ حبّ لكلِّ الخيولِ الأصيلةِ، كي تتسابقَ في البحثِ عن صُورٍ لم تَطأ أرضَها غيرُها، تتسابقُ في البحثِ عن مفرداتٍ تزيّن قالبَها، تتسابقُ في البحثِ عن فكرةٍ يتلقّفُها شاعرٌ وهي تهبِطُ مثلَ المَلاك على فكرِهِ، ثم يبذلُ ما يستطيعُ لتخرجَ للناسِ فائقةَ الحُسن؛ ذاكَ هو الشعرُ حين يعالجُه شاعرٌ خَبرَ السيْرَ في طُرقاتِ الجمالِ، وفي مُدُنٍ تَحْتفي بالحُروفِ، وتوهِمُ بالوصلِ، فالشّعرُ ليسَ الذي في يَديكَ، بل الشِعرُ في ما تطارِدهُ من تَصاوير؛ والشّعرُ ليس الوصولَ إلى ما تريدُ من الماءِ، بل في مواصلةِ السيرِ نحو المَصَبّ، كذلك فالشعرُ ليس الجلوسَ على قمّةٍ في أعالي الجبالِ، بل الشعرُ في السيرِ نحو القِمَمْ؛ فيا أيُّها الشُّعراءُ، هنا سربُ وصلٍ، وأفئدةٌ حينما تنشدون القصائدَ تهوي إليكمْ، فجودوا عليهم بألحانكم، فاعْزِفوا مثلَ طَيرٍ يغنّي على عُشِّهِ.. إنّكم في مَدينةِ سُلطان، في الشّارقة.

حديث الشعر

محمد عبدالله البريكي
hala_2223@hotmail.com

دائرة الثقافة
إدارة الشؤون الثقافية

مهرجان الشارقة للشعر العربي

الدورة 21

12-6

يناير 2025

قصر الثقافة - بيت الشعر

06 5683399

www.sdc.gov.ae Poetryhouseshj

القوافي

www.sdc.gov.ae

6 291100 753918